contemporary Moslem

Moral Obligation & Mission

المسلمة المعاصرة

إلتزام ودعوة

حيدر قفة

Hedar KofAh

دار البشير

المسلمة المعاصرة
إلتزام ودعوة

اسم الكتاب : المسلمة المعاصرة إلتزام ودعوة.
التأليف : أ. حيدر قفه.
الموضوع : حديث إلى المرأة المسلمة.
عدد الصفحات : 112 صفحة
الطبعة : (الثانية 2008م)
الناشر : دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا
التوزيع : دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا
تليفاكس 040/ 3316316
darelbasheer@hotmail.com
dar_elbasheer@yahoo.com
الإيداع القانوني : 2008 / 1804
الترقيم الدولي : I.S.B.M.977_5066_10_0

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير . والنقل . والترجمة ، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي ، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من :

دار البشير للثقافة والعلوم

للثقافة والعلوم

1429 هـ
2008 م

٢١٠/٤
م٢ ص

المسلمة المعاصرة

إلتزام ودعوة

دار البشير
للثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

ما وراء الأحداث

عندما كنت في طريقي إلي دبي مروراً بالبحرين في أوائل جمادي الثانية سنة 1408 هـ وأواخر يناير سنة 1988م، هبطت بنا الطائرة في مطار البحرين، وعندما ركبنا الطائرة المتوجهة إلي دبي كان العابرون (الترانزيت) أول الناس صعوداً إلي الطائرة، كما هي عادة الطيران، فكان مقعدي بجوار النافذة، ثم بدأ المسافرون من البحرين بالصعود إلي الطائرة، وإذا بي أفاجأ بأنني أصبحت مجاوراً لفتاتين ولا حيلة لنا في التبديل حيث ازدحمت الطائرة.

كانت إحداهما ـ وهي المجاورة لي تماماً ـ فتاة في أواخر العشرينات وأحسبها هندية، حيث أن لباسها كان غريباً على غير ما نعرف من تمسك الهنود بساريهم، وكانت قارئة متعلمة ـ هكذا يبدو الأمر حيث أنها كانت تجيد الإنجليزية كلغة ثانية، أما الأخري فكانت خليجية من دبي ـ فيما أحسب ـ في أوائل العشرينات، ويبدو أنها متعلمة أيضاً، تلبس

العباءة النسائية وإن كانت أخذت في نفسها بكل وسائل الزينة العصرية من عطر وكحل وأصباغ ومانوكير . . . إلخ هذه البضاعة المزجاة.

وأقلعت الطائرة بُعَيْد المغرب، فلم استفد من النافذة شيئاً، فانشغلت بالأذكار، ثم القراءة في كتاب أحمله معي، ثم في الصحف والمجلات المتوفرة بالطائرة، ثم بالصمت . . .

ودار الحوار بين الفتاتين في شتي الموضوعات، وكما هو معلوم؛ النساء أسرع من الرجال في تبادل المودة، وفي عدم التحفظ علي الأسرار، فما أسرع أن تلتقي امرأتان حتي تبدأ الواحدة في الحديث مع الأخري وبثها أحزانها وشكواها من الزمن والعيال والزواج والحماة وأقارب الزوج . . . إلخ هذه الأسرار العائلية، وما إن يقدر لك سماعهما حتي تظن أنهما يعرفان بعضهما من عشرات السنين، والحقيقة أنهما لم تلتقيا من قبل. هكذا النساء إلا من عصم الله.

ولكن الحقيقة أن الحوار بين الفتاتين لم يكن من هذا القبيل، بل في الأمور العامة: أين تعملين؟ ماذا كنت تفعلين في البحرين؟ هل ستنزلين دبي أم تواصلين طريقك . . إلخ هذه الأسئلة، لاسيما واللغة المشتركة كانت الإنجليزية.

ضـقت ذرعـاً بمقعـدي، ومللت من القـراءة، ومللت من الصمت الكئيب، والفتاتان تتناجيان أحياناً، وترفعان صوتيهما أخري، فيخترق صوتاهما حاجز ضجيج الطائرة وهدير محركاتها ليستقر في أذني شئت أم أبيت.

ولما أصبحنا علي مقربة من دبي، حسب عقارب الساعة، أخرجت الفتاة الهندية زجاجة (مانوكير) من حقيبة يدها وبدأت في وضع هذه المادة علي أظافـرها، أمـا الأخري فأخرجت زجاجة العطر، وبدأت تضع شيئاً منه علي يديها ووجهها وملابسها وخلف أذنها وتحت ذقنها وحول رقبتها!!

هكذا بكل وضـوح وبسـاطة.. استـعـداداً للنزول ومـلاقـاة المستقبلين..

غزا ـ والله ـ العطر أنفي، وشد انتباهي، وقُلْتُ في نفسي: جاء دورك لتقول كلمة لله. فأنت صاحب دعوة، تحمل همها أينما كنت وتوجهت، كنت علي الأرض أو في الجو، كنت في بلد محدد بحدوده السياسية أم في المياه الدولية!! فدعوتك معك أينما كنت، وكيفما كنت، وأنت مسؤول أمام الله عن تبليغها.

فتغلبتُ علي حرجي وخجلي وقلتُ لمجاورتي: معذرة.. هل أنتِ مسلمة؟ قالت: لا. مسيحية (تقصد نصرانية). قلت:

لو كنت مسلمة لقلت لك أن ما تفعلينه الآن حرام؟!!

لو كنت مسلمة!! كلمة طرقت سمع جارتنا، فمالت برأسها تستمع إلي بقية الحوار، وهذا ما قصدته «إياك أعني واسمعي يا جارة».

- عندنا في الإسلام يحرم وضع المانوكير علي الأظافر، لأنها مادة شمعية بلاستيكية تمنع وصول الماء إلي الجلد، فلا يصح معها الوضوء، وبالتالي لا تصح الصلاة، هذا فضلاً عن أنه نوع من التبرج!!

وتقليد لغير المسلمات وقد نهينا عن ذلك!!

وبدا لي أن أتوجه بحديثي مباشرة إلي الفتاة الأخري العربية المسلمة، فهي أولي الناس بنصحي لحقها عليّ في ذلك.

ولكن الشيطان اللعين برز لي وأخذ يوسوس:

وأنت مالك؟ هل ستصلح الكون بكلامك؟

الدنيا فاسدة.. فاسدة.. ومليون مثلك لن يفعلوا شيئًا؟

ماذا استفدت من الدعوة إلي الله إلا الابتلاء والمحنة؟

دعك من هذه الدعوة..

ثم ماذا ستستفيد من نصح هذه الفتاة؟

أرأيت لو أن إنساناً رآك.. أليس من المحتمل أن يشك فيك ويرميك بتهمة التحرش بها والتودد إليها؟

أرأيت لو أنها صدتك وقالت: أنا حرة.. وأنت مالك؟

أرأيت لو أنها شتمتك؟

أرأيت لو أنها استَعْدَتْ عليك من في الطائرة؟

كلهم سيقف معها ضدك، لأن التزين عمل مشروع عند الناس قاطبة، هكذا تقول الحياة العصرية حتي أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

أرأيت.. أرأيت.. أرأيت..

الحق أقول: لقد غلبني هذا اللعين، فلم أتوجه إليها بالحوار أو النصيحة مباشرة، واكتفيت بما بلغ مسامعها من حواري مع جارتي، وبالتأكيد فهمتْ أنني أقصدها، لاسيما وقد تكلمت عن العطر والروج والزينة الظاهرة وكلها من التبرج المنهي عنه.

ثم عاودني الصمت، وهجم عليّ التفكير: لقد ضعفت أمام وسوسة الشيطان حتي حال بيني وبين النصح لها تحت ألف مبرر ومبرر. وبالتأكيد سأقف مثل هذا الموقف كثيراً، بل وربما وقفت مثله مئات المرات، موقف العجز والحرج من التوجه للمسلمة المتبرجة بالنصيحة المباشرة.

وإذا كنت أنا، بما أعطاني الله من علم، وحباني من مقدرة علي تبليغ الدعوة قد عجزت في هذا الموقف، فهناك آلاف غيري عندهم رغبة في تبليغ دعوة الله إلي هؤلاء النسوة، ولكنهم لا يملكون العلم أو المقدرة أو الشجاعة، وتبقي الرغبة تمور في داخلهم دون أن يجدوا لها تحقيقاً.

وهنا نبتت عندي فكرة..

هذه الفكرة أن أكتب كتاباً صغيراً مُركّزاً سهل الفهم، أعرض فيه دعوتى، وأتوجه فيه مباشرة إلي المرأة المسلمة أو الفتاة المسلمة التي خدعتها المدنية الزائفة فاستنامت لفتنتها، وأجعل هذا الكتاب معذرتي إلي الله، ومعذرة كل رجل مسلم أو امرأة مسلمة يقفان مثل موقفي، ويعجزان عن تبليغ الدعوة، وبذلك أرفع عنهما المسؤولية أمام الله. وفي الوقت نفسه لا نحرم هذه المسلمة من الخير، وندفع به عن أنفسنا المسؤولية التي أناطها الله بنا، وندفع عن أنفسنا اتهامها لنا مستقبلاً - أمام الله عز وجل - أننا قصرنا في حقها بالسكوت عنها. فكان كتاب «المسلمة العصرية.. إلي أين؟» وقد كتبته في فترة زمنية قياسية. وحرصت أن يكون موجزاً مؤثراً مقنعاً - ما استطعت -، وكذلك صغير الحجم حتي يسهل حمله، فأحملُهُ أو يحمله كل مسلم ومسلمة كلما خرج من بيته متوقعاً أن يقابل امرأة أو فتاة سافرة

متبرجة، فيقدمه لها، معفياً نفسه من حرج الكلام المباشر، أو خوف سوء الظن به، أو عدم وجود الظرف المناسب للحوار الهاديء المتزن.

ومما لا شك فيه، أن الفتاة أو المرأة من السهل أن تقبل كتاباً دينياً علي شكل هدية، من أن يُجْري معها حوار في مكان عام وبشكل علني، قد يسبب لها الحرج أو الضيق، كما أن الكتاب يمكنها من التفكير ومعاودة النظر في القضية، كما يمكنها قراءته في أوقات فراغها أو راحتها واستعدادها النفسي.

فلما فرغت من كتاب «المسلمة العصرية.. إلي أين» وجدت نفسي لم أستكمل الحديث، وكأنني تركتها في منتصف الطريق، أو منتصف البئر لا أنا انتشلتها انتشالاً كاملاً فأخرجتها إلي السطح حيث النور والوضوح، ولا أنا تركتها في القاع تستنزفها الدنيا ببهرجها فتموت موتاً بطيئاً!! فاستعنت بالله، وكتبت لها هذا الكتاب «المسلمة المعاصرة.. التزام ودعوة» راجياً أن تجد فيه ما يثبتِ قدمها علي الطريق.

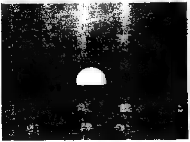

وأسأل الله تبارك وتعالي، أن يكون عملي هذا خالصاً

لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، والحمد لله في الأولي والآخرة. وصلي اللهم علي سيدنا محمد ص وعلي آله وصحبه أجمعين، ومن دعي بدعوته إلي يوم الدين.

حيدر قبّه

عمّان: صباح الاثنين

شوال سنة 1408 هـ

30 مايو (آيار) سنة 1988م

أختي المسلمة..

كنت قد وعدتك في آخر كتابي «المسلمة العصرية . . إلى أين؟!» أن أكتب لك كتاباً آخر، لنواصل الطريق إلي الله معاً، وهأنذا أوفي بوعدي وأكتب لك هذا الكتاب الذي بين يديك الآن.

لقد تعرفت على الإسلام من جديد، وشعرت بالفارق العظيم بين وضعَك الآن ووضعك سابقاً، بين إيمَانك الآن وإيمانك سابقاً، حتى أنك تصفين المرحلة السابقة في حياتك بمرحلة الجاهلية، ولذا يكثر علي لسانك الحمد والشكر لله، الذي أنقذك من الضلال الذي كنت عليه، وفتح بصيرتك وبصرك إلى نور الإسلام بمفهومه الحقَيقي، لا بالمفهوم الوراثي الذي يعيش به غالبية الناس، ولذا فالإسلام عندك حيّ متحرك مهيمن على كل شيء في حياتك وسلوكك وفكرك وتصورك. في حين أنه نائم مُخَدَّر عند الآخرين يعيش على هامش حياتهم، لا دخل له فيها، ولا أثر له عليها، اكتفوا منه بالانتساب الاسمي إليه.

ورغم تحولك العظيم نحو الإسلام الفاعل الحيّ اليقظ، إلا

أنني أخشى أن تظل بعض الجوانب في حياتك لم يتغلغل إليها الإسلام، فتبقى على ما كانت عليه إبان الفترة التي تسمينها «الجاهلية». وهي بذلك تتناقض كلياً مع النهج الذي ارتضاه الله لك، وارتضيتيه أنت بالتزامك الواعي المدرك للحياة. ولذلك لابد لنا من وقفة عند بعض الأمور المهمة التي يجب ألا تغفلي عنها في مسيرة حياتك إلى الله تعالى.

منزلة الفضائل

على الرغم من تحول الكثيرين إلي الإسلام، والسير علي نهجه، والظهور بمظهره من ناحية اللبس والسمت، وحرصهم علي الدعوة إليه إن بالقول أو بالفعل أو بالمظهر، إلا أن البعض منهم لم يتغلغل الإسلام إلي جوانب عميقة في نفسه بحيث يغيرها أيضاً، ويجعلها منسجمة مع الإسلام ولا تتعارض معه، فما إن يحتك الواحد منا بأحدهم، حتى يكتشف التناقض العجيب بين مظهر الإسلام الذي حمله، وبين لب الإسلام الذي يتغافل عنه أو يتجاهله لدرجة التعارض الواضح، الذي ينقض القضية من أساسها.

فالإسلام ليس لبساً فقط، ولا مظهراً «ديكوراً» يضفيه الواحد على نفسه حتى يصبح مسلماً، إن الإسلام مجموعة من القيم الأخلاقية التي تترجم إلى واقع حيّ متحرك، يعيش في المجتمع فيأخذ بأيدي الناس إلى الرقي الخلقي، والرفعة الاجتماعية، والسمو الإنساني. وما لم يكن المسلم متحلياً بهذه الأخلاق فإنه يطعن الإسلام من الخلف، ويصمه بالضعف حيث لا قدرة له على انتشال اتباعه من هوة التخلف إلى سدة الرقي والتقدم الإنساني بين شعوب الأرض، في حين أن السبب

الحقيقي يكمن في تخاذل المسلمين وعدم التزامهم بقيم دينهم.

ولذا أحببت أن أتحدث معك عن بعض الفضائل التي يجب أن تتحلي بها المسلمة الملتزمة، واختياري لهذه الفضائل دون غيرها يرجع إلى عدة أسباب منها:

أ- أهميتها في حياة المسلم بشكل عام، والمسلمة المتلزمة بشكل خاص.

ب- غفلة الكثيرين عنها، حتي أنهم لا يتصورون أنها فيهم.

جـ- علاقتها المباشرة بالمهمة الأساسية للمسلم، وهي الدعوة إلي الله عز وجل.

1- الصدق:

كثير ممن يَدَّعُون الالتزام بالإسلام بالقول والشكل، نجدهم ضعافاً أمام كلمة الصدق، حتى أنهم يكذبون بغير انتباه، وكأن الكذب أصبح لديهم عادة لا تثير انتباههم، ولا تؤرق عيونهم لخطورتها. رغم أن الكذب والإيمان لا يلتقيان في قلب المؤمن أبداً، ومعنى ذلك أن من يكذب ينسف الإيمان من قلبه تماماً. فعن صفوان بن سليم أنه قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم» فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم» فقيل: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: «لا». [رواه مالك مرسلاً]

فالمؤمن بشر، وفيه ضعف البشر من جبن وبخل.. إلا أن الكذب قبيحة لا تجتمع في قلب المؤمن مع الإيمان في آن واحد ولهذا حذر النبي ﷺ من الكذب وحضّ على التزام الصدق ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرّ، والبرّ يهدي إلى الجنة، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»** [رواه البخاري ومسلم].

وفي تصوري أن وقوع هؤلاء في الكذب يأتي من عدة عوامل أبرزها ما يلي: المبالغة، المباهاة، الرغبة في التميز.

أما المبالغة: فلا بأس فيها إن كانت في حدود المعقول، الذي لا ينفك عنه الإنسان كبشر، وتدخل في باب اللغو من الكلام، كأن تقولي: إتصلت بك هاتفياً عشرين مرة فلم أجدك، والحقيقة أنك اتصلت خمس مرات مثلاً، أو تقولي: نهيت ولدي عن اللعب بالنار ستين مرة فلم ينته، والحقيقة أنها ثلاث مرات.. فهذه مبالغات يُتجاوز عنها في الحديث غالباً، وهي مألوفة للناس، ولا يأخذونها مأخذ الجد، أو الحصر العددي المذكور، وإن كان التحرز منها أفضل. وكلما كان المسلم صالحاً

مرهف الحس، كلما ابتعد عن ذلك حتى ولو كان فيه مسامحة من الناس. مرض أحد الصالحين الزهّاد، فجاءت عمته لتعوده، فقالت له: كيف أنت يا بُني؟! فقال: ولدتني؟ قالت: لا. قال: أرضعتني؟! قالت: لا. قال: فما عليك لو قلت: يا ابن أخي ولا تكذبين.

انظري هذه الحساسية ضد الكذب، أو حتي المبالغة التي يتسامح الناس فيها عادة، كيف رفضها حسه المرهف. فانتبهي لا تجرك المبالغة إلى الكذب حتى يصبح عادة لك، تقعين فيه دون وعي ولا قصد منك.

والمباهاة: مرض آخر يسيطر على كثير من النساء، ولا تخلو منه بعض المسلمات الملتزمات، حتي يدفعهن إلى الكذب المقصود المفضوح. ويكثر هذا عند هؤلاء إذا كانت لها بنت في سن الزواج فإن الثناء عليها ووصفها بالفضائل كلها أمر عادي مألوف، ولعلك رأيت بعض هذه المواقف في الأفلام أو المسلسلات، ولكن هناك مباهاة مفضوحة، لأنها لا يقبلها عقل ولا منطق. زعمت إحداهن أن بنتها تحفظ جزء القرآن في ساعة واحدة عن ظهر قلب. وأخذت تكرر هذا الزعم في كل مجلس تحضره. فهل هذا يتفق مع المنطق والواقع؟! فالإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ وغيره الكثيرون حفظوا القرآن في سن التاسعة،

وضُرب به المثل في سرعة الحفظ وقوة الحافظة، ومعني أن تحفظ كل ساعة جزءاً أنها تستطيع حفظ القرآن كله في يوم ونصف، ولو أخذنا في الاعتبار أوقات النوم والطعام لحفظته في ثلاثة أيام فهل هذا الرقم صحيح؟ ومما لا شك فيه أن هذا الحد فوق طاقة البشر، ويستحيل وجوده. ولو حدث لذاع صيتها حتي بلغ الآفاق وهذا لم يكن ولم يحدث.

والسؤال هنا: ما الذي يدفع مثل هذه المسلمة الملتزمة شكلاً إلي الكذب المفضوح؟ ليس هناك من سبب إلا الرغبة في المباهاة، وضعف الإيمان الذي يحول بينها وبين ذلك، والاستخفاف بعقول الناس الذين قد تنطلي عليهم هذه المقولة.

والرغبة في التميز: دافع آخر قوي عند البعض، حتى يجعلهم يكذبون ويتكرر الكذب ما دام هناك إحساس بالنقص يسيطر عليهم، فيدفعهم إلى الكذب لستر هذا الضعف.

والعجيب في الأمر أن هؤلاء تغافلوا عن حقيقة واضحة، وهي أن الله قَسَّمَ الأرزاق والقُدُرات والحظوظ بين عباده كما قَسَّمَ الهموم أيضاً، ولم يجعل لواحد منهم كل الفضائل، وللآخرين كل الرذائل، أو يجعل الكمال المطلق لفرد، والنقص المطلق للآخرين، فكما وهب إنساناً بعض الفضائل، وهب الآخرين كذلك، وكما سلبه بعض الفضائل، سلب الآخرين

كذلك. ومعني هذا أنه لابد أن يحدث تمايز وتفاضل وتفوق. إلا أن بعض الناس عموا وصموا عن ذلك، واعتقدوا أن الكمال والتفوق والذكاء والعبقرية والمهارة (والشطارة) وكل فضائل الدنيا والآخرة من نصيبهم هم وذويهم، بينما غيرهم دون ذلك. وهؤلاء يضايقهم أن يسمعوا أو يشعروا بتميز أحد آخر غيرهم، بأي شيء، وإن شعروا أو سمعوا بهذا التميز اندفعوا للكذب، ولكي تعرفي هؤلاء من أول مقابلة أصف لك مسلكهم:

إذا حدث وأن تحدثتي مع أحدهم في أمر حقيقي من باب الخبر لا من باب التميز بأن أحد أقاربك ـ أخاك أو ابنك ـ نال المرتبة الأولى في مدرسته، وهي حقيقة حدثت. تضايق وانبرى يذكر لك الأوائل في أسرته مثلاً، فإن لم يكن في أسرته ذكر جيرانه، وإن لم يكن أحد في جيرانه، ذكر معارفه... وهكذا، المهم عنده أن يرد لك هذا الشعور حتي لا يظهر ضعفه هو، أو نقصه هو. هذا الإحساس يدفعهم إلى الكذب والاختلاف المفضوح.

ويكثر هذا عند النساء بوجه خاص، في مجال المهارات النسائية من طبخ وتطريز وتنسيق وإعداد البيت... إلخ.

ما الذي يدفع هؤلاء إلى سلوك هذا المسلك؟ ليس هناك من دافع إلا الإحساس بالنقص، وخوف التميز عليهم، فيندفعون إلى الكذب.

فاحذري يا مسلمة هذه الغوائل، لا تجرك إلى الكذب من

حيث لا تشعرين، حتى يصبح عادة عندك تقعين فيه بلا وعي منك. وهذا من أقبح الأمور بالمسلمة الملتزمة.

2- الوعد:

وهذا أمر آخر خطير، يقع فيه كثير من المسلمين الملتزمين، وهو عدم الالتزام بالوعد، ومنه الدقة في المواعيد.

وفي تصوري ينشأ هذا التفلت لأسباب ثلاثة:

أ- ضعف الإيمان.

ب- الأنانية.

جـ- الاستهتار.

أما ضعف الإيمان: فلأن خلف الوعد من النفاق، والنفاق قرين الكفر والعياذ بالله. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»** [متفق عليه].

وزاد في رواية لمسلم: **«وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»** وهذا سلوك يمقته الله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف: 3,2]

وأما الأنانية: فإنهم عندما أخلفوا وعدهم أوموعدهم

وجـدوا أن هذا الوعـد أو الموعـد يتعـارض مع مصلحة لهم، فقدموا مصلحتهم علي مصالح العباد، حتي ولو كانت مصلحتهم أمراً تافهاً. أذكر مرة أننا كنا علي موعد مهم، وأخذنا ننتظر أحد المعنيين بالأمر الذي نريد بحثه، فتأخر عن موعد الحضور ما يقارب ساعة ونصف، فلما جاء وإذا به يقول: كنت أشاهد برنامجاً تلفزيونياً خفت فوته!! والموعد المضروب؟ والرجال الذين ينتظرونك؟ والأمر المهم الذي ينتظر البَتَّ فيه؟ كل هذه الأمور وضعها دبر أذنه عندما تعارضت مع شهوته!!

وأما كونه استهتاراً بالناس: فلأنه لا يقيم وزناً لغضبهم أو تعبهم أو ضياع أوقاتهم أو حرق أعصابهم. وهذا أمر محرم. نعم محرم، فيحرم على المسلم أذية المسلم واحتقاره، فهو آذاه بما سبب له من ضيق وتضييع الوقت والمصالح، وآذاه باحتقاره وعدم احترام موعده معه. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا: المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله. التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» [رواه مسلم].

ولهذا كان عدم الالتزام بالوعد، أو خلف الموعد نقيصة في المسلم، تخرم المروءة، فاحذري أن تكون فيك هذه الخصلة الذميمة، واحرصي على التحلي بصدق الموعد، وإنجاز العهد مهما كلفك ذلك من تضحيات أو تعب، فسيصبح ذلك خلقاً تعرفين به، وكما قيل: من لزم شيئاً عُرف به.

3- البشاشة:

والبشاشة سمة يجب أن يتحلى بها المسلم والمسلمة، فالوجه البشوش سريع الدخول إلى القلب، وهي أمر دعا إليه رسول الله ﷺ ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**» [رواه مسلم] وفي حديث أبي ذر أيضاً قال رسول الله ﷺ «**تبسُّمك في وجه أخيك صدقة...**» [رواه الترمذي وحسنه].

والبشاشة والتبسم أمران يكتسبان بالمران، أرأيت المذيعات في التلفزيون والمضيفات في الطائرة - مع اعتراضنا على العملين - كيف ترسم الواحدة منهن الابتسامة على وجهها، لقد دُربت على ذلك فترة حتى أتقنته.

ورسم الابتسامة على الوجه، أو التحلي بالبشاشة عند مقابلة الناس ليس نوعاً من النفاق، بل هي ضرورة اجتماعية

لتأليف القلوب وإشاعة المحبة، وزرع المودة. ولعلك تذكرين حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ «استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة»، فلما دخل ألانَ له الكلامَ، قلتُ: يا رسول الله، قلتَ الذي قلتَ، ثم ألَنْتَ له الكلامَ. قال: «أي عائشة، إن شر الناس من تركه الناس أو وَدَعَهُ الناس اتقاء فُحشه» [رواه البخاري] فعائشة ـ رضي الله عنها ـ داخلها شيء من تصرف النبي ﷺ لأنه أظهر خلاف ما يبطن، حيث قال ما قال، فوضح لها النبي ﷺ أنه ليس فاحشاً، ولا يقابل الناس بأعمالهم، ولكنه يلقاهم بوجه طليق وكلام لين راجيًا أن ينصلح حالهم وتتحسن أخلاقهم، ولكن تنبهي لأمر خطير، وهو أن تبسمك هذا، أو بشاشتك تكون مع النساء فقط، واحذري أن تكون مع الرجال حتى لا يُساء بك الظن، ويتجرأ عليك مرضى القلوب. ولقد حذر الله من ذلك فقال: ﴿...فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32]

واعلمي أن العبوس والغلظة منفران للقلوب، وليست من سمات المسلمين الصالحين، فالمسلم هين لين بشوش يألف ويؤلف، لأنه داعية إلي الله. وما عليك إلا تدريب نفسك علي الابتسامة الودودة في وجوه النساء حتى تصبح أمراً ملازماً لك، تأتين به طبيعة وجبلَّة دون تكلف. والله يوفقك.

4- الكرم:

ولا أقصد بالكرم كثرة الإنفاق، فقد يكون المسلم أو المسلمة فقيرين لا يستطيعان ذلك، ولكني أقصد سخاء النفس وبذل الشيء، وإن كان يسيراً سواء أكان هذا الشيء مادياً أو معنوياً أو جهداً جسدياً. ويوضح هذا حديثُ النبي ﷺ «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسِن شاة» [متفق عليه].

والفرسن من البعير كالحافر من الشاة، وهو كناية عن الشيء اليسير الذي لا يُهدى مثله. وأعرف رجلاً كان صياداً للقلوب، وأبرز ما أعرف من طباعه أنه ما وجد شيئاً في يده ـ مهما كان هذا الشيء ـ إلا قدمه هدية لجليسه أو جاره أو رفيقه، حتى تلك الأشياء التي قد نضحك من تفاهاتها كالعلب الفارغة أو أقلام الرصاص أو . . أو . . يقدمها . . وكان لا يبخل بجهده على أصدقائه ومعارفه، فما إن ينتدبه أحد لمسألة أو مهمة إلا قال: لبيك. فكان مالكاً لقلوب معارفه وأصدقائه.

هذا هو الكرم الذي أقصده، ولا أقصد الموائد الممدودة، ولا الهدايا الثمينة، ولا الأموال الطائلة، ولا العطايا العظيمة.

والمسلم حريص على كسب المحامد، ونبذ ذميم الخصال، وما وجدنا شيئاً أعظم قدراً في ستر العيوب كالسخاء، فصاحبي السخاء جهدك يستر عيبك، ويقربك إلى قلوب الخلق، وأنوي

بعملك وجه الله عز وجل، حتي لا يضيع عملك سُدي، والله يوفقك.

5- التواضع:

والتواضع خلق الأنبياء، ونهج الصالحين، ولأن التكبر يغضب الله تبارك وتعالى، ولا أعني بالتكبر المشي منتفخاً كالبالون، أو عدم زيارة الناس لأنهم دون المستوى، اجتماعياً أو مالياً أو علمياً. أو التعالي على الناس بمخاطبتهم من طاقتي الأنف، أو تصعير الخد فهذه كلها مظاهر التكبر المذموم الذي لا تخطئه العين، والذي يشعل النار في القلوب، ويملؤها سواداً وسناجاً.

ولكني أقصد التكبر الخفي، الذي يزاوله المتكبر تحت أسماء مزيفة أخرى، كسوء معاملة الرئيس لمرؤوسيه والتعالي عليهم تحت اسم المصلحة العامة وسير العمل وضرورة أن يكون للرئيس هيبة حتى لا يتجرأوا عليه، أو عدم الاهتمام بالآخرين، وترك مجاملتهم في الأفراح والأحزان تحت اسم عدم التدخل في خصوصيات الناس، فقد يصاب عزيز على أحد الأصدقاء، فيلتف المعارف والأصدقاء حوله للاطمئنان على حال المصاب، وقد يتكرر السؤال يومياً عن آخر تطورات المرض أو الإصابة، ويظل هذا مجانباً صامتاً تحت اسم عدم التدخل في شؤون الآخرين. وكعدم مدح الناس بما فيهم أو الثناء عليهم بما يستحقون تحت اسم عدم النفاق أو الرياء...

والحقيقة أن هذه كلها تعلات فارغة يتعللون بها لإخفاء ما انطوت عليه نفوسهم من كراهية الناس وحب التعالي على الخلق، ولكنهم يستترون وراء هذه المظاهر حتى لا تنفضح حقيقتهم.

واعلمي أن أكثر ما يقربك إلى قلوب الناس التواضع معهم وعدم إشعارهم بالتعالي، ولا يكون ذلك إلا بإنكار ذاتك وعدم الإكثار من الحديث عن نفسك وأهلك وذويك، أو مهاراتك وإنجازاتك، لأن النفوس جبلت على كراهية هذا النوع من البشر.

وعليك الاهتمام بالآخرين دون إسراف، فالمجاملة مطلوبة شرعاً وعرفاً، وقدمي لهم المساعدة إن احتاجوا لها، ولا تتواني عن الثناء عليهم بما فيهم من خصال حقيقية، ولابد أن تجدي فيهم جانباً يستحق المدح والثناء، ولو كان مدحك هذا في غير وجوههم لكان أفضل وأبعد عن مظنة التزلف، وكم يكون الإنسان سعيداً عندما تبلغه كلمات المديح والثناء من إنسان آخر في غيبته، هذه الكلمات كفيلة بإزالة الكراهية إن وجدت، وكفيلة بزراعة المحبة في القلوب. فاحرصي على الثناء عليهم بما فيهم من جميل الصفات وحميد الخصال، وإياك أن تمدحيهم بما ليس فيهم. فهذا كذب من جانب، ومن جانب آخر يصمك بالاختلاق والنفاق.

6- الإقبال بالوجه:

وهذا طبع يغفل عنه كثير من الناس، ومنهم الإسلاميون بالطبع، ولو تنبهوا لهذا الطبع لأدركوا كيف تكتسب القلوب، فما وجدت مصلحاً اجتماعياً أحبه الناس وتحلقوا حوله، وأعطوه قلوبهم، إلا كان لهذا الجانب دور في سلوكه.

فالناس بطبعهم يحبون من يهتم بهم ويقدرهم ويقبل عليهم، أما الذي لا يعيرهم اهتماماً فإنه يجرح نفوسهم ويطعن كبرياءهم ولذا ينفرون منه، وينفضون عنه.

ولذلك يا حبذا لو تعلم الناس حسن الاستماع كما يتعلمون حسن الكلام، لملكوا بذلك قلوب الخلق. قال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان: **«والله ما علمته إلا آخذاً بثلاث، تاركاً لثلاث: آخذاً بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر المؤنة إذا خولف، تاركاً لمجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج»**. وقال عطاء بن رباح: **«إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه قط، وقد سمعت به من قبل أن يولد»**.

وكان لي صديق لا تعوزه الحنكة والنظرة الصائبة للأمور، إلا أنه إذا ألمت به مصيبة، أو بدا له أمل أو طموح، من تلك

الآمال الكبار، والطموحات العظام، جاءني ليحدثني ويخصني بسره ومكنون صدره، فاستمع إليه وأعطيه رأيي، وأنا أعلم يقيناً أنه ليس في حاجة لهذه المشورة، إنما كانت حاجته لصديق يعطيه أذنيه، ليستمع إليه جيداً، فيري انعكاسات هذه الآمال والطموحات في نفوس الآخرين، فكنت أمنحه ذلك وأنا مدرك لحاجته تلك، فيعود وقد هدأت نفسه واستراح باله.

والناس في حاجة لمن يقدرهم وينظر لهم نظرة احترام، فإن وجدوا هذا الذي يمنحهم هذا الإحساس تعلقوا به ومنحوه قلوبهم، ولا يجرح الإنسان مثل نظرة التغافل وعدم الاهتمام، مهما كان هذا الإنسان صغيراً في السن، أو صغيراً في القدر، أو ضعيفاً في الجسم، أو ضعيفاً في المال. فهذه كلها عوارض دنيوية لا تلبث أن تزول ـ بحول الله وقدرته ـ ويتغير حال الإنسان، ويبقى الجرح الذي أصابه ينكأ كلما مر ذكر من جَرَحَهُ وأساء إليه، ويظل دم هذا الجرح وصديده يرويان شجرة الحقد في قلبه، حتى وإن تسامى على الحقد، إلا أنه بالتأكيد لم يعد في قلبه متسع لمحبته.

فلو استطعت أن تتحلي بهذين الطبعين: حسن الاستماع، والاهتمام بالآخرين وتقديرهم، ملكت قلوب معارفك وأقرانك وصديقاتك.

هذه بعض الأخلاق والصفات التي رأيت أن كثيراً من الإسلاميين يتغافلون عنها، أو أنهم قَصَّروا في التعود عليها، والتخلق بها، أو لنقل: قَصَّرَ المربون في تنشئتهم عليها وأخذهم بالحزم المدروس حتى تصبح الخلق الذي لا يفارقهم، فإن كانت هذه نقائص في الآخرين، فهي في شأن الإسلاميون أشد نقصاً وعواراً، وهي من مسببات الفشل في الوصول إلى قلوب الآخرين. فانتبهي لذلك وفقك الله.

علاقتك بالقرآن

تحدثت معك سابقاً [1] عن القرآن، وسرت علي منهج للقراءة والحفظ حتى وصلت إلى قراءةنصف جزء يومياً، وحفظت نصف جزء «عم» وهي قصار السور، وما عليك إلا مواصلة السير في الاتجاه نفسه، والالتزام بالخط نفسه من القراءة والحفظ، دون أن ترهقي نفسك أو تشقي عليها وستجدين نفسك وقد قرأت كثيراً وحفظت كثيراً.

والقراءة اليومية في المصحف مطلوبة لذاتها، لما فيها من فائدة وثواب، أحري الناس بهما وأولاهم المسلمة الملتزمة، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم. حرف، ولكن ألف حرف. ولام حرف، وميم حرف»

[رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب].

ولكني اليوم، وفي هذا الكتاب أقصد بعلاقاتك بالقرآن هذا الارتباط الروحي المتين المتمثل في أمرين أساسيين:

---

(1) في كتاب «المسلمة العصرية... إلى أين؟».

أ- الراحة النفسية التي تجدينها عند قراءتك للقرآن، حتى أنك تفرين من هموم الدنيا وشواغلها إلى آيات القرآن، تستروحين منها نسمات الإيمان وبرد اليقين، بما تعرفين من حياة الأمم السابقة، وسنن الله فيهم، وذهاب الطغاة، ونصرة المؤمنين، فتشعرين أنك موصولة بهذا الكتاب، مرتبطة برب العالمين، فيملؤك الإحساس بالراحة، بالاطمئنان، بالفخار، بالعزة، بالكرامة، بكل شعور ممتع نبيل يدفعك إلى معانقة الحياة للاستزادة من الخير الذي يُرضي رب العالمين، والذي يبلغك الجنة بإذن الله.

ب- الرغبة الأكيدة عندك في تطبيق آياته وأحكامه، لا مجرد تلاوة وتقليب صفحات، فأنت حريصة على معرفة المطلوب منك حتى تسارعي في عمله والقيام به على وجهه الصحيح فإذا كنت تملكين هذين الاحساسين، فهذا يؤدي إلى أن تتعاملي مع القرآن معاملة متميزة، وتكون لك به علاقة وطيدة، وهذا يتأتي لك بثلاثة أمور:

الأمر الأول: فهم ما تقرأين من آيات القرآن، ولما كان القرآن عربي اللغة، سهل عليك فهم آياته، إلا بعض الكلمات، ولذلك أنصحك أن تضعي خطاً تحت الكلمة التي لا تعرفين معناها في مصحفك، ثم تبحثي عن معناها بعد الفراغ من

القراءة أو التلاوة، فإذا تكرر هذا العمل ستجدين مصحفك وقد كتبت على هوامشه معاني الكلمات الصعبة[1] وعند تكرار الختمات في حياتك ستزول صعوبة هذه الكلمات وتصبح معروفة لك، ولا يعزب عنك منها شيء.

الأمر الثاني: دراسة ما تقرأين من القرآن، فالقرآن ليس كلمات فقط تحتاجين إلى معرفة غريبها، ولكنه أحكام، وأسباب نزول، وتاريخ، ودعوة، وعبر... إلخ. وصدق الله العظيم: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38] وهذه الأمور وغيرها لا يمكن أن تعرفيها من خلال فهمك لمعاني الكلمات الصعبة، بل لابد لك من كتاب في التفسير يزودك بها أو ببعضها، حيث أنه لا يوجد تفسير يغني عن آخر، لأن كل كتاب تفسير تميز بناحية برز فيها، والكمال لله وحده، ولكن هذه الكتب مطولات، قد يرهقك اقتناؤها أو القراءة فيها، لاسيما وأنت لازلت في بداية الطريق، ولست متخصصة في التفسير، ولذا لابد لك من كتاب واحد يقضي حاجتك دون مغالاة أو تقصير، ولعل من أحسن الكتب في هذا الباب كتاب: «**المصحف المفسر**» لمحمد فريد وجدي. فإن تعذر عليك الحصول عليه، فعليك بكتاب:

---

(1) من الكتب الجيدة التي تفيدك في هذا الموضوع كتاب «كلمات القرآن» للشيخ حسنين محمد مخلوف.

«المنتخب في تفسير القرآن الكريم» تأليف لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة. فإن تعذر فعليك بأحد مختصرات تفسير ابن كثير ـ رحمه الله ـ.

الأمر الثالث: الالتزام بالقرآن، وهذا الالتزام يكون في ثلاثة جوانب:

أ- التزام زمني: بحيث تقرأين بانتظام يومياً حصة من القرآن والتفسير. مع ملاحظة ترك ذلك أيام الحيض والنفاس.

ب- التزام عملي: بتطبيق كل ما ثبت لك بفهم صحيح أنك مطالبة بتطبيقه على وجهه الصحيح بعد الدراسة الواعية، وليس التطبيق المترتب على الفهم السطحي لظاهر النصوص والآيات، فلا تعتزلي الناس مثلاً لمجرد أن قرأت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105] بل لابد أن تعرفي سبب نزولها، والملابسات التي أحاطت بها عند

نزولها، والأحكام الشرعية التي استنبطها الفحول من علماء الأمة من هذه الآية، ومتى يجوز لك الاعتزال؟ والواجبات المترتبة عليك قبل الاعتزال. هذا مجرد مثال واحد للقياس عليه.

جـ- التزام فكري: بجعل القرآن المهيمن على كل حياتك وأقوالك، فيكثر استشهادك بآياته في أقوالك، ورد كل شيء في

حياتك وحياة الآخرين، سلوكك وسلوك الآخرين، كلامك وكلام الآخرين إلى القرآن ، فبدلاً من أن تحكي قصة ساذجة من حياة الناس أو من التاريخ احكي القصة التي تؤدي الغرض من قصص القرآن، وبدلاً من أن تضربي للناس مثلاً شعبياً أو عامياً دارجاً، ابحثي عن مقابل له من القرآن. . وهكذا وستكتشفين بعد فترة أن فكرك، وأسلوبك، ولغتك قد ارتقت وتحسنت عن ذي قبل.

هذه هي العلاقة التي أقصدها بالقرآن، أي أن تصبحي فتاة أو امرأة قرآنية، يهيمن القرآن على كل جوانب حياتك، حتى تُعرفي بذلك بين الناس، وهذا يسير على من نوى الخير، وسأل الله العون، وأخلص النية والتوجه لله.

علاقتك بالسنّة

السُّنَّة هي المصدر الثاني للتشريع، وبغيرها لا نفهم الإسلام، لأنها المفسرة والشارحة والمبينة للقرآن الكريم، وهي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وإقراراته. والقرآن الكريم كدستور لهذه الأمة لابد أن يكون مجملاً، موجزاً الإيجاز الذي لا يُخلّ بالهدف منه، وفي الوقت نفسه يسهل حفظه وحمله. وقد كان كذلك، فجاءت السنة تشرح هذا القرآن، وتبيّن أحكامه، وتوضح مقاصده فكانت السنة سيرة النبي في حياته بعد الرسالة والتي امتدت ثلاثاً وعشرين سنة، فكانت السنة في هذه الكتب المطولة المعروفة بكتب الحديث وعلى رأسها صحيح البخاري وصحيح مسلم رحمهما الله.

وتبلغ السنة أضعاف القرآن مرات ومرات، لأنها ـ كما قلت ـ مفسرة وشارحة له، ومبينة لأحكامه، ومفصلة لمجمله، وقد قال رسول الله ﷺ «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[1].

وهناك فئة من المضللين يحاولون هدم الإسلام بإنكار حجية السنة حيث يزعمون أن في أحاديث الرسول ﷺ كثيراً من الموضوعات المختلفة التي وضعها الرواة كذباً على رسول الله ﷺ

---

(1) من حديث المقدام بن معدي كرب. رواه أبو داود بسند صحيح.

ولذا فهم لا يطمئنون إلى هذه السنة ويريدون الاقتصار على القرآن وحده، وهذه كلمة حق أريد بها باطل، أما أنها كلمة حق، فصحيح أن الكذابين من الرواة وضعوا أحاديث ونسبوها للنبي ﷺ ولكن الله عز وجل الذي تكفل بحفظ الذكر، سخر العلماء العدول المخلصين للذب عن سنة النبي ﷺ فعكفوا على السنة، ووقفوا بالمرصاد لأهل الأهواء والبدع، فغربلوا السنة من الزيف الذي ألحق بها، وكان من جهودهم ظهور علمي: الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، وبهما انفضح أمر الوضاعين الكذابين، وعُرف الحديث الصحيح من الحسن من الضعيف من المنكر. واستقر هذا الأمر منذ أكثر من ألف سنة وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»** (1) وأما أنها كلمة يراد بها باطل، فلأن هؤلاء يعلمون جيداً أن الأحاديث قد غُربلت وعُرف صحيحها من سقيمها وهذا مثبت ومسجل في كتب مطبوعة في متناول أيدي الناس جميعاً، وقد استقر الأمر، وظهرت الشروح، وكُتبَ الفقه على هذا الأساس، فدعواهم الآن باطل يريدون له الانتشار والهيمنة، لا لشيء إلا لهدم الإسلام، لأنهم إذا أقنعوا الناس ببطلان السنة، أو شككوا فيها

---

(1) وهو مرسل، ولكنه روي موصولاً من طريق جماعة من الصحابة (مشكاة المصابيح جـ 1 ص82).

وأنصت الناس لهم واستمعوا واقتنعوا، تركوا السنة ولم يعد لها وزن في الشريعة مدعين الاعتماد على القرآن وحده، فإذا ما استقر الأمر على ذلك عجزوا عن فهم القرآن، لاعتمادهم عليه

وحده بعد أن أسقطوا السنة، فكيف سيعرفون كيفية الصلاة، أو مقادير الزكاة، أو المناسك . ... إلخ، عندها يطعنون في القرآن نفسه، ويقولون: هذا كتاب لا يُفْهم، ومعنى ذلك أنه ليس من عند رب العالمين. فيهدمون الإسلام بركنيه، بدأوا بالسنة وثنوا بالقرآن فماذا بقي لنا بعدهما من تشريعات نعتمد عليها. ولقد تنبأ الرسول ﷺ بأمر هؤلاء وحذر منهم إذ يقول: «لا ألفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»(1).

ويجب عليك بعد ذلك، أن تعرفي أمر هؤلاء فتحذريهم، وتحذري منهم، وتدافعي عن سنة نبيك ﷺ، ثم تعرفي أن السنة ملزمة لك، وعليك اتباعها وهذا أمر الله عز وجل، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: 56].

(1) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي وإسناده صحيح. وقال الترمذي: حسن صحيح.

والتزامك بالسنة يقتضي منك معرفة الصحيح منها، وقد تعمدتُ في كتابي السابق «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» إغفال درجة الحديث حتى لا أشغلك بها، كما أن الهدف كان بعث العاطفة الإيمانية عندك، حتي ترجعي إلي الله، وهذا الهدف كان من الممكن ضياعه لو أدخلتك في الجانب العلمي لدرجة الأحاديث، فتركت هذا الأمر ولم أذكره إلا في القليل النادر، مع حرصي على ألا أستشهد لك إلا بالأحاديث الصحيحة، أو الحسنة. وتركت الضعيفة.

أما الآن، وقد هداك الله، وبدأتْ قدماك تثبت على الطريق، أخذتُ أذكر لك درجة الأحاديث حتى تعرفي هذا الفن، وتطمئن نفسك إلى ما أوردت من أحاديث كشواهد وأدلة على ما أقول. وعليك بعد ذلك ـ إن كان في مقدورك ـ دراسة شيءٍ من هذا العلم حتى تأخذي السنة من نبعها الصافي.

وعلاقتك بالسنة أعني بها التزامك وتطبيقك، ويكون هذا بعدة أمور منها:

أ- التنقيب عن أصل العادات والعرف الذي كنت قائمة عليه، أو عليه غالبية الناس، ثم رد هذا العرف وهذه العادات إلى الإسلام، فما كان له أصل في الشرع أبقيناه مطمئنين إلى سنيته، وما لم يكن له أصل بحثنا عنه، فإن كان لا يتعارض مع

نص من نصوص القرآن أو صحيح السنة أبقيناه علي اعتبار أنه نتاج تطور حضاري للناس. أما إن كان يتعارض معهما تركناه وضربنا به عرض الحائط، لأن السنة أولى بالاتباع، وكما قيل: ما أحيا الناس بدعة إلا أماتوا سنة مكانها.

ب- التأسي برسول الله ﷺ في كل ما تستطيعين، مع ملاحظة سيرة الصالحات من الرعيل الأول للاقتداء بهن، لاسيما أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ، والصحابيات الجليلات.

جـ- سرعة تنفيذ ما ثبت لك من السنة بسند صحيح، وعدم التواني أو التسويف، وقد ذكرتُ لك طرفاً من حياة الرعيل الأول في سرعة الالتزام في الكتاب السابق فارجعي إليه إن شئت.

د- الدعوة إلى هيمنة سنة الرسول ﷺ علي جميع جوانب الحياة، بالتزامك أنت أولاً، ثم بحض الأخريات على ذلك، فتكون بذلك ممن قال رسول الله ﷺ فيهم: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**» (1) وإن لم يستجيبوا؛ كنت ممن عناهم الرسول ﷺ بقوله: «**لا يزال من أمتي أمةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» [متفق عليه].

---

(1) من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم.

واجبك نحو الإسلام

لقد حدثتك في الكتاب السابق (المسلمة العصرية . . إلى أين؟) عن واجبك نحو نفسك، وقلت لك: أن لب هذا الواجب إنقاذ نفسك من النار، لأنه لن يفعل ذلك أحد لك. وأقول لك اليوم: إن واجبك نحو الإسلام جزء من واجبك نحو نفسك، وبتعبير آخر إن إنقاذ نفسك من النار يحتم عليك أن تعرفي واجبك نحو الإسلام، الذي به وعن طريقه تنقذين نفسك من النار.

إن المهمة الأساسية للإنسان على الأرض - كما تعلمين - هي عبادة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] والعبادة ليست قاصرة على الصلوات والزكاة والحج، بل تتعداها إلى كل أمر فيه رضا الله عز وجل - كما بينت لك سابقاً - وبناء على ذلك، فإن من أهم جوانب العبادة لله الدعوة إليه سبحانه.

والدعوة إلي الله واجبة علي كل مسلم ومسلمة، كل حسب إستطاعته، وهم مسئولون عن ذلك أمام الله عز وجل ففي الحديث: «ما تَزَالُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأَلَ عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟

وعن علمه ماذا عمل فيه؟»[1] فالله عز وجل سائلك عن علمك هذا ماذا عملت فيه؟ وأهم عملك في علمك بعد تطبيقه هو تبليغه إلى غيرك وعدم كتمه عندك، ولو تذكرت ما مضي لعلمت أنك قد هُديت إلي طريق الله عز وجل بتوفيقَ من الله أولاً، ثم جهد بعض مَن آتاهم الله العلم، فنقلوه لك، ودعوك إليه. ولذا واجبك أنت أيضاً نقل هذا العلم إلي غيرك.

ولقد تضافرت النصوص من القرآن والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وجعل ذلك مسؤولية المسلم والمسلمة في كل مكان. فيقول الله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125] ويقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104] وهل هناك خير أعظم من الهداية؟ ويقول في الآية نفسها ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وهل هناك منكر أشد من البعد عن الله وطريق الله؟! ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

ويقول النبي ﷺ «بلغوا عني ولو آية»[2] ويقول: «نضَّرَ اللهُ

---

(1) حديث صحيح. رواه البيهقي وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(1) رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ

أمرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مُبلَّغ أوعى من سامع»[1]، ويقول: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2] وبايع المسلمين على ذلك ففي حديث جرير بن عبد الله ﷺ قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» [متفق عليه]. ويقول النبي ﷺ أيضاً: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[3]، ويقول ﷺ «فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم» [متفق عليه].

وهكذا يظهر لك وجوب الدعوة إلى الله، وعدم ترك هذه المهمة أو إغفالها، وليس معنى الدعوة إلى الله أن تكوني عالمة لا يشق لك غبار حتي تقومي بهذا الواجب، بل إن كل إنسان مسلم عَلِمَ شيئاً من دين الله، علماً حقيقياً، وجب عليه نقله إلى الآخرين، كما مر معك في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص «بلغوا عني ولو آية». ولو قام كل إنسان بهذا الواجب لانتشرت الدعوة إلى الله في كل البقاع، وعَمَّتْ الدنيا، لكن البعض تكاسل وتقاعس عن ذلك، وترك المهمة لغيره، فخسر الثواب، وكان تحت مسؤولية ذلك، ويُخشى عليه من عقاب الله عز

(1) رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال: حديث حسن صحيح.
(2) رواه مسلم من حديث تميم بن أوس الداري ﷺ.
(3) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

وجل، بينما فاز غيره بهذا الثواب، ونال الدرجة الرفيعة التي قال الله عنها ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ [فصلت: 33].

فإذا كنت مدركة لهذا الأمر، فلا ترغبي بنفسك عن هذه المهمة، ولا تستصغري شأنك، أو تستعظمي المهمة فتتقاصر همتك عنها، ولكن احزمي أمرك، وتوكلي على الله، وسيوفقك الله إن شاء.

فإذا اقتنعت بهذا الواجب. فعليك معرفة الخطوات السليمة للدعوة إلى الله عز وجل، حتى توفري جهدك ووقتك، وتبلغي أملك من أقرب طريق.

خطوات الدعوة إلى الله

وأولى خطوات الدعوة إلى الله عز وجل أن يكون لديك أمران أساسيان:

الأمر الأول: الإيمان بوجوب الدعوة إلي الله وضرورتها.

الأمر الثاني: الرغبة الشديدة عندك في نقل الإسلام وتبليغه إلي الآخرين، فإن لم يكن لديك هذا الإحساس، وذاك اليقين تعثرت خطواتك لفقدان الدافع القوي للقيام بهذه المهمة النبيلة.

أما الإيمان بوجوب الدعوة إلى الله، فقد ذكرت لك الأدلة على ذلك قبل قليل، وأما ضرورة الدعوة إلى الله، فلأن الإسلام دين الرقي والرفعة، وما كان للعرب في يوم من الأيام ذكر إلا بالإسلام، وكلما تمسكوا به ارتقوا وعزوا، وكلما بعدوا عنه وحاربوه انحطوا وذلوا، والشواهد علي ذلك كثيرة، لا أرهق نفسي ولا أصدع رأسك بذكرها وإيرادها لأنها واضحة لكل ذي عينين وعقل سليم.

ومن الضرورة أيضاً انقاذ الناس والمجتمع من حالة التفكك والضياع والسقوط في هوة الانحراف والجريمة. فالأسرة المتدينة أسرة مستقرة هانئة قليلة المشكلات حتى وإن كانت فقيرة. بينما نجد الأسرة المتفلتة التي لا تقيم وزناً للإسلام، ولا يتحلى أفرادها

بالإسلام، أكلتهم الدنيا باللهاث وراءها، ووراء مظاهرها الفارغة، حتى وقع البعض في التمزق النفسي الحاد. ولا تجدين أسرة مفككة يكثر فيها الموبقات من خمر ومخدرات وزنا وإسهام في الجريمة بشكل أو بآخر إلا كان وراء ذلك غياب الإسلام عنها، وبُعد أفرادها عن قيم الإسلام، أو الالتزام بمباديء الإسلام.

ولذا كان من ضرورات الدعوة إلى الله، إشاعة القيم الإسلامية، وحض الناس على الإلتزام بها، حماية لأنفسنا أولاً، وللناس ثانياً، وللمجتمع ثالثاً، من تفشي الجريمة، ولا يكون ذلك إلا بالدعوة إلى الله، أي دعوتهم إلى منهج الله، ليأخذوه بقوة، ويجعلوه المهيمن على حياتهم.

وأما الرغبة الشديدة في نقل الإسلام إلى الناس، فهذا أمر مهم، لأن بعض الإسلاميين - رجالاً ونساءً - عنده نوع من السلبية، فاقتصر على التدين وحده، مستأثراً بالخير دون الناس، وإذا رأى الضلال والانحراف عند الآخرين قال: «وأنا مالي» «كل واحد مسؤول عن نفسه» «فخار يكسر بعضه» «كل شاة معلقة من عرقوبها» «كل نفس بما كسبت رهينة» وربما أراد تأييد موقفه السلبي هذا فيستشهد بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [المائدة: 105].

وهذه أنانية من جانب، وتخاذل من جانب ثان، وعدم فهم للإسلام وروحه من جانب ثالث، وفهم خاطيء لنصوص القرآن من جانب رابع. فإن معنى قوله تعالي ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أي أن يعمل المسلم الصالح من الأعمال، ويدعو الناس بكل جهده وطاقته إلي الخير، فإن رفض الناس دعوته، وأصروا على ضلالهم، وأصابه منهم الأذى بسبب دعوتهم، عندها لا يضره ضلالهم، لأنه رفع عن نفسه المسؤولية أمام الله، أما أنه لا يدعو إلى الخير، ويسكت على ضلالهم، ويجاملهم على ما هم فيه من باطل، فإن العقاب والعذاب يصيبه كما يصيبهم ـ هذا في الدنيا ـ وأما في الآخر فَسَيُسْأَلُ عن تقصيره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أورد ابن كثير في تفسيره ﷺ قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105] وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه**»...

وعن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قول الله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا

اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل إئتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم» قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة (أحد رواة الحديث)، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم».

وهناك فئة أخرى لا تدعو إلى الله، لأنها تستصغر شأن نفسها، وترى أنها أقل من هذه المهمة، وتقول: بضاعتنا من العلم قليلة، وليس لنا قبول عند الناس حيث لا خبرة لنا، ولا نحن مسموعو الكلمة. وهذه مهمة العلماء الذين حباهم الله بالعلم، وخصهم بإقبال الناس عليهم، وسماع الناس لكلامهم... الخ. وهذه تعلات فارغة، يزينها لهم الشيطان، لأن الدعوة إلي الله لا تحتاج إلى كل هذه الأمور، ولو أن المسلم قصد الله بعمله لوفقه الله، وجعل له القبول عند الناس، فالإسلام انتشر في جنوب آسيا على يد التجار وليس العلماء، وفي دول البلقان على يد الأتراك الذين لا يحسنون العربية، وأغلبهم جند بسطاء، لا يملكون قدراً كبيراً من العلم، ولكنهم يملكون حباً عظيماً للإسلام ورغبة جارفة في نشره وتبليغه

للناس، وهي الرسالة والمهمة التي انتدب إليها رسول الله ﷺ كُلَّ مسلم: «بلغوا عني ولو آية» «لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه».

فلا يَسْتَصْغر مسلم شأن نفسه، فرب كلمة يقولها، لا يلقي لها بالاً، ولا يظَن أن لها وزناً كبيراً، يحدث الله بها تحولاً عظيماً في حياة إنسان ما، هذا الإنسان يصبح في يوم من الأيام من أكبر الدعاة إلى الله، المؤثرين في الناس. فيأتي للمسلم الأول الذي قال الكلمة الطيبة الأولى من الخير والثواب والحسنات ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله، وصدق الله العظيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 24-25].

وهناك فئة ثالثة، لا تدعو إلى الله يأساً من الإصلاح، وتقول: انظروا إلى العالَم، يتراجع إلى الخلف باستمرار، انظروا إلى القرى في بلاد المسلمين، تكون على هدى وخير، فتأتيها رياح التطور المادي، فتتطور إلى الأسوأ، يقل عدد رواد المساجد، وتكثر السرقات، وتدع النساء الحجاب وتمتلىء الشوارع بالأغراب، وتتفكك الأسر، وتضعف الروابط بين الناس سلبيات.. سلبيات.. سلبيات.. ما فائدة الدعوة إذن؟! نفخة في رماد أو صرخة في واد!!

وهذا مـوقـف سلبي، وهروب من المسـؤوليـة، وتبـرير للتقاعس، لأن المسلم مكلف بالدعوة إلى الله، قَبِلَ الناس دعوته أو لم يقبلوا، فعليه أن يعمل ويجد في العمل، وليس عليه أن ينجح أو يحصد النتائج الإيجابية أو يراها بعينه، فالله يقول لنبيه ﷺ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: 272] ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56]. صحيح إن النجاح مشجع ودافع لمزيد من العمل، وعلى العكس منه الفشل، فإنه يثبط الهمم، ويدعو إلى الفتـور، ولكن أين الصبـر والمجاهدة؟ الصبـر على الناس، ومجاهدة المثبطات كلها.

بل الواقع ينطق بغير ما يورده المتخاذلون، فإن كانت هناك فئات تفلتت من الإسلام لمجرد هبات ريح التطور المادي، فإن هناك الآلاف من الناس، جربوا الضيـاع والتيـه والسيـر وفق ضـلالات الحضـارة الغـربيـة الوافـدة، وجـربوا كل دروبهـا ومسالكها، وعرفوا غثها من سمينها، وعرفوا أنه لا فائدة من هذا الركض وراء بهرجها، فرجعوا إلى الله تائبين منيبين، رجعة المجرب، رجعـة المتيقن. اسـألي شوارع المدن الكبـرى، اسـألي الجـامعـات، اسـألي الجوامع. . هذه الصحوة الإسـلاميـة بين الشباب والشابات، بين الرجال والنساء. . ما سببها؟. . أليست نتيجة لجهود بعض المخلصين؟

والمسلم لا ييأس من الإصلاح، وحتى لو أصابه الفتور،

فعليه أن يقوم بواجب الدعوة إنقاذاً لنفسه من النار، لقد ذكر الله سبحانه طرفاً من الحوار بين فئتين في القضية نفسها ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164] فالاعتذار إلى الله: نوع من رفع المسؤولية عن النفس، والتي هي الدعوة إليه، ولعلهم يتقون: الأمل وسط اليأس، وبصيص النور وسط الظلام الدامس، ذلك الأمل الذي يرجوه من يدعو إلى الله.

انظري إلى العدد الكبير الذي رجع إلى الإسلام، فستجدين هناك أناساً ما كان أحد يتصور أن يعود مثل هؤلاء إلى الإسلام والتقى. كان يتصور أن تعود مثل السيدة شمس البارودي إلى الإسلام، فتتحجب وتركل بقدمها كل إغراءات السينما وأضواء المجتمع المخملي؟! ثبتها الله وقوى عزيمتها، بل قرأتُ في جريدة الشعب الأردنية الصادرة يوم الجمعة 1988/3/11 تحت عنوان «شادية والقيم الإسلامية» ما يلي: «استطاعت الفنانة شادية أن تقنع العديد من الممثلات بأهمية التمسك بالقيم الإسلامية في الحياة الدنيا، وأعدت لهن رحلة عمرة إلى الأراضي المقدسة، شاركت فيها كل من مديحة يسرى ونجلاء فتحي ومجموعة أخرى من الفنانات، جاء ذلك بعد تلبية العديد من الفنانات لجلسات دينية تقيمها شادية في منزلها». ومما لا شك فيه أنها محاولة، نسأل الله أن يكتب لها النجاح. وباب

التوبة مفتوح حتى آخر عمر الإنسان ما لم يغرغر، أي قبل أن يصل لمرحلة خروج الروح.

والخبر في حد ذاته مؤشر على ما في نفوس الناس، فإن الناس ـ رغم تظاهرهم بالسير في ركاب المدنية الغربية بتحللها وتفلتها ـ يعانون صراعاً نفسياً حاداً، ونزعات نفسية تشدهم إلى ربهم، وسواء أكان الخبر صحيحاً، أو غير صحيح، فإنه يدل على ما في نفوس الناس من الرغبة في التوبة والرجوع إلى الله، سواء الممثلات أو ناقل الخبر أو الصحيفة نفسها.

وهذه الأحاسيس نمت وترعرعت بجهود بعض الأفراد المخلصين، الذين أخذوا على أنفسهم مسؤولية الدعوة إلى الله بالأسلوب الفردي، الذي قوامه العلاقات الشخصية، والصداقات الحميمة، والروابط الثنائية ومن خلال هذه العلاقة تقال كلمة الخير، فتثمر بإذن الله، وتفتح مغاليق القلوب النافرة، فتحسن إليها كما أحسنت لنفسها بالقيام بواجب الدعوة. ولذلك يجب ألا ييأس المسلم أو المسلمة من تحقيق النجاح، وعليه التدرب على الأسلوب السليم في الدعوة أو الأساليب الناجحة حتى يحقق أمله ومراده. وحتى لو لم يتحقق شيء في المنظور القريب، فيكفيه أنه قام بما هو واجب عليه، واعتذر إلى الله، وأنقذ نفسه من المسؤولية.

ويجب أنْ يُلتفت إلى أمر مهم، وهو أن عدم استجابة الناس أو فرد له، ليس معناه الفشل، لأن هناك أنواعاً من البذور تحتاج إلى وقت أطول في التربة حتى تنبت، وهناك بذور تنبت في اليوم التالي لزراعتها وبذرها، ولعل هذا الذي بدا لكَ أنه لم يستجب، أو بدا لك أنها لم تستجب، قد احتضنت الكلمة الطيبة في أعماقها، ولكنهَا تحتاج إلى فترة من الزمن قد تطول أو تقصر ـ حسب التكوين المزاجي والنفسي والثقافي لكل شخص ـ لكي تستجيب لدعوتك وتلتزم بالإسلام. ومن خلال خبرتنا بالناس وجدنا أن هذا الصنف العنيد المتأبي، إذا اقتنع كان قوياً في إيمانه. ولعلك في دراستك للسيرة وجدت بعض هذه النماذج، فالدعوة وصلت إلى أبي بكر الصديق وعمرَ بن الخطاب في زمن واحد أو متقارب، فيسلم أبو بكر فوراً ويتأبى عمر زمناً، لكن البذرة استقرت في أعماقه منذ أن سمع كلمة التوحيد، لكنها احتاجت معه وقتاً أطول حتى نبتت، فلما نبتت وترعرعت انظري بعد ذلك شدة عمر في الحق، وقوته في نصرة الإسلام، رحمهما الله.

وأنت الآن، بعد أن استقر الإيمان في قلبك، وتفتحت بصيرتك وبصرك لهذا الدين، وذقت حلاوة الإيمان، وعرفت برد اليقين، وأحسست بنعمة الهدى، يتملكك إحساس جارف قوي لنقل هذا التأثر إلى الآخرين، حتى يهتدوا مثلك، ويذوقوا حلاوة الإيمان مثلك، وينعموا براحة البال مثلك، وهذا صريح

الإيمان، فالنبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه].

وحرصك هذا على نقل الالتزام إليهم، أو ردهم إلى التدين، لا يبررَ لك التهور في دعوتهم، بل يوجب عليك تفهم الأسلوب الأنجع والموافق لكل مدعو على حدة، فكل إنسان له مفتاحه الذي يفتح قلبه، ولا يفتحه مفتاح آخر، ولذا فعليك معرفة الشخصية أولاً، معرفة الدراسة والفهم، ثم التقدم لدعوتها بالأسلوب الذي يثمر وينجح معها.

وهناك خطوات عامة بعد ذلك، ممكن اتباعها مع كل الناس لأنها تلامس الجوانب الإنسانية البشرية فيهم، ولا يختلف فيها اثنان فمثلاً الناس جميعا يحبون الثناء عليهم ومدحهم. فهذا جانب إنساني بشري عند الناس جميعاً، وهم متفقون فيه، ولكنهم يختلفون على الطريقة: أن يكون المدح في الوجه أمام صاحبه، أم في غيبته؟. ولذلك أقول: أكثري من المديح بحق أي ذكر الصفات الحسنة الحقيقية، ولكن انظري لمفتاح الشخصية التي ستمدحينها هل تحبه في غيبتها أم في حضورها؟ فإن كانت تطرب له وتتأثر به في غيبتها فقولي ما تشائين، وإن كانت لا تتأثر إلا إذا قيل أمامها فاعتدلي ولا تسرفي والتزمي بالسُّنَّة في ذلك، حتى لا تخرجي من الثناء إلي الرياء، ومن المديح إلَي النفاق، ومن رضا الناس إلى سخط الله!!

والمديح والثناء ممكن أن يأخذ شكل الخبر فقط، فتكوني صادقة، ولا تتسببي في دفع الممدوح إلى الغرور والإعجاب بالنفس، ويكون ذلك فيما له علاقة بالإيمان والتقى، فيزداد الممدوح من الخير بتمسكه، أو بتنمية الصفات الحسنة عنده، كأن تقولي صادقة: صليت خلف فلانة فكانت هادئة في صلاتها تعطيك إحساساً بالخشوع. أو: ما سمعت من فلانة كلمة نابية قط، أو تدافعي عن زميلة فتقولي: فلانة رغم أنها عصبية كما تقولون إلا أنها لا تحمل حقداً لأحد، وسرعان ما تعود لرشدها.. وهكذا.. فهذا المديح كله مجرد إخبار عن حقيقة معلومة للناس جميعاً، كل دورك فيها أنك ذكرتها وأظهرتها أو ركزت الضوء عليها. أمثال هذه الكلمات تفعل فعل السحر في قلوب الناس، وتجعلهم يستريحون لك ويحبونك.

هذا هو الجانب الذي قصدته من قولي: الجانب الإنساني والبشري عند الناس جميعاً، وسأسوق لك الآن خطوات مقترحة تستطيعين بها - بعد توفيق الله ومشيئته - كسب قلوب من تتوجهين إليهم بالدعوة، وهي خطوات رأيتها من خلال قراءاتي وتجاربي. أسأل الله أن تكون موفقة ناجحة.

أولاً: اختاري إنسانة قريبة لنفسك، روحها متوافقة مع روحك، وليس شرطاً أن تكون قريبة لك من جهة الرحم، ولكن الأهم وجود إحساس مشترك بينكما بالألفة والمودة،

وتكون ممن عرفن بالطيبة والخلق الحسن، لأن هذه الفئة من الناس كالذهب الخالص علاه الغبار، غبار المدنية الزائفة، فما أن تنفخي هذا الغبار حتى يتطاير، ويظهر بريق المعدن الأصيل لهم. وهم ـ وإن كانوا متفرا نجين ـ إلا أن أعماقهم من الداخل جيدة، وفطرهم سليمة إنما جرفهم تيار التفرنج، فأخرجهم عن الجادة إلي صحراء الضياع والذهول، فما إن يجدوا يداً مخلصة تمتد إليهم بالخير، حتى يعودوا إلى ربهم شاكرين حامدين.

ثانياً: فإذا وقع اختيارك على واحدة من هذه الفئة، فضعي نصب عينيك هدفاً محدداً وهو دعوتها إلى الله، محتسبة في ذلك الأجر من الله، موطنة نفسك على ما يقابلك أو يواجهك من عقبات وصعوبات، وربما إعراض وصد، وربما أذى يصيبك من جراء ذلك.

ثالثاً: ضعي لنفسك منهجاً واضح المعالم لأسلوب كسبها، مستخدمة في ذلك كل الوسائل التي تفتح قلبها مثل:

أ- **الإهداء إليها:** وليس شرطاً أن تكون الهدية ضخمة فخمة، بل تكون معبرة عن المحبة ومشاعر المودة، وردة.. قلماً.. دفتراً.. مجلة.. كتاباً.. مشبكاً للشعر. إشرباً للرأس.. إلخ هذه الأشياء البسيطة. ويا حبذا لو كانت

المجلات المهداة من المجلات الإسلامية التي تدعو إلى الفضيلة وإلى منهج الإسلام، وكذلك الكتب التي تحبب في هذا الطريق وتدعو إليه، وكلما كانت كتيبات صغيرة الحجم، سريعة الهضم، سهلة الفهم، كلما أسرعت في الوصول إلى هدفك وغايتك، فإذا ما ألفَتْ هذه المجلات، وأمثال هذه الكتيبات، بادرت بنفسها لشرائها واقتنائها. المهم أن تكون هداياك متواصلة غير منقطعة، ولكن بشكل طبيعي محبب، لا يرهقك، ولا يحرجها في الوقت نفسه.

ب- الزيارة المستمرة: وأعني بها كثرة الاحتكاك بها، وتكثيف الصلة فإنها في هذه الفترة تحتاج إليك لإزالة الحيرة من نفسها، والإجابة على تساؤلاتها، والحاجة لشد أزرها، فإن جوانب الأرض وحياة الضياع تشدها بقوة، فتحتاج إلى يد قوية لانتزاعها من هذه الأرض السبخة.

وزياراتك لها، وكثرة مرافقتك تحيطها بسياج آمن ضد مؤثرات الحياة الهابطة التي تجذبها، بما في ذلك جند إبليس من الإنس الذين يحاولون صدها عن طريق الهدى، وإبقائها في مستنقع الحياة المتفرنجة الزائفة.

جـ- المساعدة: وتكون بالجهد والوقت والمال، وكلما قمت

بذلك عن طيب خاطر، وبشكل طبيعي فطري، كلما أثرت فيها نوازعَ الخير الكامنة في أعماق نفسها، لأنها ترى في كل لحظة مسلمة تمد يدها بالمساعدة، فتشعر بالثقة في الحياة، والأمل في المستقبل، وأن الناس لازالوا بخير، ولازال فيهم من يفعل الخير بغير مقابل. وهي الصورة التي تكاد تختفي في ظل الحياة المادية الطاغية.

د- **القدوة:** ويجب أن تكوني قدوة حسنة لها فيما تدعينها إليه، وهذا لا يأتي إلا بالتزامك، أنت أولاً بالإسلام قولاً وفعلاً، شكلاً ومضموناً ـ وهذا ما حرصت على تمكنك منه في كتابي السابق «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» لأن القدوة أبلغ أثراً من الكلام. بل أحياناً السلوك الصامت يؤثر ويجذب أكثر من عشرات الخطب ومئات الكتب. لقد كان الدكتور الطبيب عبده إبراهيم نصرانياً، يدرس وهو في المرحلة الثانية مع زميل له في بيته، وكان هذا الزميل مسلماً، فكان يراه عند حلول وقت العصر، يستأذن فيذهب ويتوضأ ويصلي العصر ثم يعود.. وتكررت هذه العملية طيلة فترة الدراسة المشتركة، فما إن دخل الطالب عبده إبراهيم كلية الطب وبَعُدَ عن مؤثرات أهله، حتى نبتت البذرة الصالحة في أعماقه وبدأت تنمو وتكبر، فلما تخرج وأصبح طبيباً، لم يعد يطيق كتمان ما في داخله، فأعلن إسلامه، فحاربه أهله ولكنه لم يرضخ لهم، وتزوج فتاة مسلمة من بيت علم ودين، وأنجب منها ابنه البكر «عيسى» الذي أصبح فيما بعد

الدكتور/ عيسى عبده المفكر والباحث والمستشار في الاقتصاد الإسلامي، عليه رحمة الله.

والناس في حاجة للقدوة الصادقة، التي لا يخالف فعلها قولها، حتى تتأثر به، وتسايره وتقلده، أما إن كان فعله يناقض قوله، أضر بنفسه وبدينه، ولذلك يمقت الله هذه الفئة من الناس، التي اتخذت الإسلام سلماً للدنيا، واقتصرت منه على الجانب الثقافي فقط فآمنت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، لخطورتهم على الإسلام ومسيرة المسلمين، فوصم فعلهم هذا بالمقت حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2، 3] فاحرصي على القدوة حرصك على الكلام وتبليغ الدعوة.

هـ- البعد عن المنفرات: فكثيراً ما يرتكب الداعية أخطاءً منفرة، أو تكون فيه صفات منفرة لم يلتفت إليها، وسأسوق لك بعضها بإيجاز شديد: **الاستاذية**: حيث يُشعر المدعو أنه أعلم منه، وأنه يعلمه ويبصره، وأنه أعلى منه. **الكبر**: حيث يأتي بحركات وأفعال وأقوال تدل على التعالي وإيهام الطرف الآخر أنه من طبقة أرقى، فلا يحصد إلا الصدود من الناس رغم ما يبذله من كثرة صلاة، أو كثرة كلام حول الإسلام. **الحديث عن النفس**: حتى لا يدع مجالاً لأحد بالكلام، ولا هم له إلا إبراز عبقريته أو محاسن أهله وذويه، حتى ليخيل للسامع أن الكون كله خُلق من

أجلهم وليس فيه مثلهم. **الغيبة**: وهي مرض مستوطن عند غالبية الناس، ولا يسلم منه إلا من عصم الله، ثم جاهد نفسه جهاد الأبطال، حتى تستقيم على الجادة. والكلمة الخبيثة إذا وصلت لمن قيلت فيه دمرت كل أشرعة الإبحار نحو المودة المتينة، والعلاقة القوية التي تقود للتأثر. **الأثرة**: وهي الأنانية المسيطرة على بعض الأفراد وحرصهم على الاستئثار بكل شيء، مادي أو معنوي، وذاتهم أهم عندهم من الدنيا وما فيها. ولذا كان من وصية بعض الصالحين: «وانبذ إليهم حطام الدنيا ولا تنافسهم عليه» فكثيراً ما ينسى الداعية نفسه، فينافس المدعوين على توافه الأمور أثرةً وأنانيةً، فيفقد الاحترام، وبالتالي التأثير في المدعوين. **الإسفاف**: وهو الهبوط بالكلام أو السلوك دون مستوى خلق الصالحين، فيسف بالكلام، بحيث تكون كلماته بذيئة أو جارحة ويسف بالسلوك، بحيث يطمع في كل شاردة وواردة، ويبذل ماء وجهه لأتفه الأشياء، فيستذله الطمع

والحرص، ولا يتعفف عن كل ساقطة ولاقطة. فيسقط من العين، ويفقد الاحترام. **سرعة الانفعال**: لاسيما في مجال الغضب، فإنه يؤثر في المنفعل، فلا يتحكم في كلماته ولا

حركاته ولا قراراته، وكثيراً ما تؤذي الآخرين، ويندم عليها بعد هدوئه، ولكن من الصعب أن ينسى المجروح جُرح اللسان، وقديماً قيل:

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتئم ما جرح اللسانُ

ومن كان سريع الانفعال نادراً - إن لم يكن في حكم المستحيل - أن يصل إلى موقع قيادي في المجالات التطوعية، لأن الناس تنفر منه وتنفض عنه وصدق الله العظيم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]. الشح: سواء أكان شحاً مادياً أو نفسياً، فالشح المادي البخل بالمال والمتاع والعون، والشح النفسي يتمثل في كراهية الخير للناس ويكثر عند النساء نوع من هذا الشح وهو في مجال المهارات النسائية كأن تتقن امرأة صنفاً من الطعام فإذا سئلت عن طريقة صنعه تهربت أو كذبت وغشت في الوصف والمقادير حتى لا تتقنه الأخرى فتنافسها وتسلبها متعة التفرد والتميز.

هذه بعض أهم المنفرات التي تتسبب في فشل الداعي مع المدعو، وفقدان المحبة أو التقدير، أو الأمرين معاً فتضيع جهوده سُدى. وإذا ذكرنا المنفرات، فإن من نافلة القول أن نؤكد على الصفات المضادة للمنفرات، حيث تؤدي إلى نجاح الداعي، وكسب المدعوين، مما يجعلنا نوصي بإصرار على التمسك بها، والتخلق بأفضلها ما أمكن.

و- التسامح: وخلال دعوتك لهذه الصديقة، وخلال مرحلة المخاض، لابد أن ترتكبَ بعض الأخطاء والمخالفات، أو التجاوزات، أو التراجع عما التزمتْ به.. إلخ هذه الهنات. فيجب عليك التسامح في كثير من الحالات، والتغاضي في بعض الأحيان، مع تحين الفرصة المناسبة لمعاودة النصح أو التذكير ؛ لأنها تعاني صراعاً كبيراً بين اتجاهين متضادين، وهي تمر بمرحلة التجريب والاكتشاف وجس النبض، والتعرف على مقدرة نفسها، وصدق توجهها، فساعديها على تجاوز هذه المرحلة بثقة وتقدير وتشجيع، أما إذا استعملت إسلوب التوبيخ واللوم والتقريع فقد يؤدي بها ذلك إلي النفَور، فلا تعيني الشيطان عليها.

ز- الالتزام: فإذا نجحت معها، واستملت قلبها، وظهر لك الرغبة الأكيدة عندها في التوجه إلى الإسلام، فادعيها للالتزام وذلك بنبذ التبرج والسفور، ولباس الحجاب الشرعي، والمحافظة على الصلاة، والتحلي بالفضائل الخلقية والسلوكية، كما بينت لك ذلك من قبل في كتابي «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» عند الحديث عن

المنهج، ثم اتفقي معها على جلسات للمذاكرة والدراسة في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وسيرة الرسول وصحبه الكرام واجعلي هذه الجلسات في مواعيد محبية للنفس لا تتعارض مع

مصالحها كالدراسة أو العمل أو النوم أو النزهة أو التزاور مع الآخرين.

ولتكن دراستك وإياها في المنهج الذي ذكرته لك في كتابي السابق، أو بعضاً منه، حسب استعدادها النفسي، ولا ترهقيها أو تلحّي عليها حتى لا تمل أو تنفر، وسوسيها باللين والحزم مع الإصرار على بعث الشعور بالحب والمودة بينكما من جانب، ومن جانب آخر الإحساس بالطهر والشفافية الناتجين عن التحول إلى حياة المؤمنين وسلوك المتقين.

فإذا نجحت معها، ووصلت إلى غايتك فاحمدي الله عز وجل أن وفقك، وردي هذا الفضل لله وحده. أما إذا فشلت معها، ففتشي عن العلة: هل هي فيك أنت؟ أم فيها هي؟ وانصفي نفسك، ولا تأخذك العزة بالنفس فَتبرئي نفسك، وتسارعي لاتهام الأخرى. فإن كان العيب فيك فبادري لإصلاح الخلل، وإن كان فيها فلا يفت ذلك في عضدك ولا يوهن عزيمتك.

هل أنت وحدك على هذا الطريق؟

وطريق الدعوة شاق وطويل، وأجره كذلك كبير وعظيم، ليتفق مع طول الطريق ومشقته، ولأن الدعوة إلى الله أسمى المهام، وأجل الأعمال، لذا فهي مهمة الأنبياء. ورسالة الرسل، وطريق الصالحين المتشبهين بهم.

ولطول الطريق ومشقته، وكثرة العقبات والمعوقات والمثبطات، يشعر الداعية بالوحشة، لا سيما والإحباطات تتناوشه من كل جانب، واليأس يغزوه من الداخل، فأنى له القوة على مواصلة السير؟

ولكنه إذا علم أنه ليس وحده على الطريق، بل إن هذا الطريق سار عليها الكثيرون، ومن هم؟ إنهم خيرة خلق الله وأطهرهم، إنهم الأنبياء والرسل، وأن هذا الطريق لم يخلو ساعة من سالك، هان عليه الأمر، وخفف عنه العلم ما يجد من ضيق وحرج وتعب.

ويخطيء كثير من الناس، عندما يتصور أن الدعوة إلى الله مهمة الرجال فقط، وأن النساء عليهن جر الذيول، هذا خطأ كبير، والدارس للتاريخ يجد أن الدعاة من النساء كُثُرٌ، علمنا

بعضهن، وجهلنا أكثرهن، ولكن الذي خلقهن يعرفهن واحدة واحدة ﴿مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: 31] وسأذكر لك بعضاً ممن أعرف، لعل ذلك يعينك على الاستئناس، وتبديد الوحشة، وتجديد الهمة، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

أنت تعرفين موقف سمية ـ رضي الله عنها ـ، أم عمار بن ياسر، وموقفها في الإسلام، واستشهادها في سبيل الدعوة الإسلامية، وتعرفين موقف كعيبة الأسلمية، وموقف نسيبة بنت كعب الأنصارية أم عمارة وقتالها يوم أحد دون النبي ﷺ وغيرهن الكثيرات الكثيرات.

ما الذي دفع هؤلاء النسوة لهذه المواقف التي تُعجز الرجال؟ رغم أنهن لو جلسن في بيوتهن، يتجهزن لرجالهن بالزينة وتطرية الجلد وتنعيمه وتكحيل العينين وتطيب الثياب لما لامهن أحد!! ولكن آثرن التي هي أرقى وأسمى، وطلبن التي هي أعظم وأولى، آثرن الجنة، وطالبن الشهادة في سبيل الله.

وسأسوق لك خبرين عن امرأتين من المسلمات الأوائل، وكيف كانت الواحدة منهن تتحمل العنت والتعب في سبيل الإسلام، والدعوة إلى الله، حتى أنها لتأتي بأعمال تثير عجبنا وإعجابنا في الوقت نفسه، أعمال فذة منفردة في السير إلى الله، والحرص على مرضاته، والعمل على نشر دينه، ونصرة دعوته.

فهذه أم شريك الدَّوْسية، تعمل في حقل الدعوة المباشرة إلي الله وتتحمل في ذلك العنت، ولا يردها عن دينها أو هدفها أو عملها ما تلاقي من صعاب. عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت زبي العسكر الدوسي (أي زوجته). ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة، فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، لكنا سنردك إليهم»[1].

وتُحمل رضي الله عنها، ويُسار بها، وتُمنع من الماء، وكلما تعبوا نزلوا فاستظلوا دونها وتركوها في الشمس، فلم يثنها ذلك عن دينها، ولما وصلت إلي رسول الله ﷺ في المدينة، وهبت نفسها له. قال الأكثرون ممن رووا قصتها: فلم يقبلها النبي ﷺ كزوجة، فلم تتزوج حتى ماتت.

فهذه امرأة ملكت عليها الدعوة قلبها وعقلها، ولم يكن لها مطمع في الدنيا أو زخرفها، فجاهدت ودعت وبَلَّغتُ الدعوة، وتحملت ما أصابها في سبيل ذلك، وعرضت نفسها على النبي ﷺ راغبة في قربه، ولم يكن للنبي ﷺ فيها حاجة. ورغم ذلك

(1) صفة الصفوة ج2 ص53.

لم تأخذها الحمية، ولم ترجع عن دينها، ولم تتراجع عن دعوتها، لأنها كانت مخلصة لله، فظلت بلا زواج، مستمرة في دعوتها حتى ماتت عليها رحمة الله.

وهذه داعية أخرى، كانت فتاة لم تتزوج بعد، دخل الإسلام قلبها، فأسلمت وبايعت، وضاق بها الحال بين أبوين كافرين، ففرت بدينها إلى الله ورسوله، وخرجت مهاجرة سراً، ولكنها أحكمت خطتها للهجرة بذكاء وتصميم نادرين يثيران العجب والإعجاب معاً.

أما هذه الفتاة العاتق فهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ـ رضي الله عنها ـ، أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة، وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وهاجرت في هدنة الحديبية.

عن ربيعة بن عثمان وقُدامة قالا: لا نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلا أم كلثوم. قالت: كنت أخرج إلى بادية لنا فيها أهل فأقيم بها الثلاث والأربع، وهي ناحية التنعيم، ثم أرجع إلى أهلي فلا ينكرون ذهابي البادية. حتى أجمعت المسير (أي الهجرة) فخرجت يوماً من مكة كأني أريد البادية. فلما رجع من تبعني (أي من كان يراقبها أو يحرسها أو يوصلها لأول الطريق) إذا رجل من خزاعة قال: أين تريدين؟ قلت: ما

مسألتك؟ ومن أنت؟ قال: رجل من خزاعة. فلما ذكر خزاعة اطمأنت إليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده (أي بعد اتفاقية الحديبية). فقلت: إني امرأة من قريش، وإني أريد اللحوق برسول الله ﷺ ولا علم لي بالطريق. فقال: أنا صاحبك حتى أوردك المدينة. ثم جاءني ببعير فركبته فكان يقود بي البعير. ولا والله ما يكلمني بكلمة. حتى إذا أناخ البعير تنحى عني فإذا نزلت جاء إلى البعير فقيده بالشجرة، وتنحى إلى فيء شجرة، حتى إذا كان الرّواح حَدَجَ (شد عليه الرحل أو الهودج) البعير فقرّبه وولّي (ذهب بعيداً) عني، فإذا ركبت أخذ برأسه فلم يلتفت وراءه حتى أنزل، فلم يزل كذلك حتى قدمنا المدينة، فجزاه الله من صاحب خيراً [1]. فدخلت على أم سلمة وأنا متنقّبة (أي مخفية وجهي بالنقاب حتى لايعرفني أحد) فيما عرفتني حتى انتسبت (أي ذكرت لها اسمي واسم عائلتي) وكشفت النقاب، فالتزمتني (أي عانقتني واحتضنتني) وقالت: هاجرت إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ؟ قلت: نعم، وأنا أخاف أن يردني كما رد أبا جندل وأبا بصير، وحال الرجال ليس

(1) بالطبع هذا الوضع وضع ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها. لا سيما في تلك الظروف والملابسات، وتلك الأيام التي كان فيها الرجال رجالاً ذوي نخوة ومروءة. أما في زمننا هذا وفي الظروف العادية فلا يجوز أن تسافر امرأة بدون محرم لحديث النبي ﷺ «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة» (أي ذي محرم) [متفق عليه].

كحال النساء، والقوم مُصبحيَّ، قد طالت غيبتي اليوم عنهم خمسة أيام منذ فارقتهم، وهم يتحينون قدر ما كنت أغيب، ثم يطلبوني، فإن لم يجدوني رحلوا (أي جاؤوا للبحث عني).

فدخل رسول الله ﷺ علي أم سلمة فأخبرته خبر أم كلثوم فرحّب بها وسهّل. فقلت: إني فررت إليك بديني فامنعني (أي احمني) ولا تردني إليهم يفتنوني ويعذبوني، ولا صبر لي على العذاب، إنما أنا امرأة، وضعف النساء إلى ما تعرف، وقد رأيتك رددت رجلين (حسب شروط اتفاق الحديبية) حتى امتنع أحدهما. فقال [أي رسول الله ﷺ]: «**إن الله عز وجل قد نقض العهد في النساء**»، وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم (إشارة إلى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ......﴾ إلخ الآية العاشرة من سورة الممتحنة.

فقدم أخواها الوليد وعمارة من الغد فقالا: أوف لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه، فقال: قد نقض الله العهد. فانصرفا[1].

هذان نموذجان من جيل الصحابة، وتاريخ الإسلام بعد ذلك مليء بالمسلمات اللواتي أخذن على عاتقهن مسؤولية الدعوة إلى الله، حتى في عصرنا الحاضر الذي نعيش، نجد فيه

---

(1) صفة الصفوة ج2 ص55 - 57 .

مُثُلاً وقدوة من هذه الفئة المؤمنة من النساء الداعيات الصابرات المحتسبات.

وأنت ـ بحول الله وقوته ـ لست أقل من هؤلاء، ولا يعجزك أن تأتي منَ الأفعال العظيمة في سبيل الله. مثلما فعلن وأكثر، طالما أن النية موجودة والإخلاص لله موجود، وحب الدعوة والعمل من أجلها متوفر لديك. والله يرعاك ويوفقك ويثيبك.

أما إذا شعرت بفتور أو وهن أو خوف أو وحشة الطريق، ولم تجدي فيمن حولك من يساندك، ويشد من عضدك، ويقوي عزيمتك، ويؤنس وحشتك، فابحثي في كتب التراجم والتاريخ، وحتى في عصرنا الحديث عن النسوة اللواتي وهبن أنفسهن لله، وجندن أنفسهن للدعوة وخدمة هذا الدين، فستزول الوحشة، وتشعرين بالأنس، وتقوى عزيمتك، وتنشط همتك. والله معك.

توسيع دائرة الدعوة

فإذا نجحت في كسب واحدة من صديقاتك إلى جانبك، وعادت إلى الله، والتزمت بطريق الإسلام، وسارت معك على نهج واحد من الالتزام بالحجاب، وبالصلاة وقراءة القرآن، وتحكيم شرع الله في حياتها كلها، وأصبحت أنت مطمئنة لهذه النتيجة، حيث أصبحتْ مثلك تماماً، فيَ هذهَ الحالة عليك بتوسيع دائرة الدعوة.

وتوسيع دائرة الدعوة تعني عدم الوقوف، بل الاستمرار في النمو والانتشار حتى تعم النماذج الخيّرة من النساء والفتيات البيئة الاجتماعية، وبذلك يتحول المجتمع تلقائياً إلى الصورة المضيئة للمجتمع الإسلامي المنشود.

وطالما أن التي كسبتها إلى صفك أصبحت مثلك، تؤمن بما تؤمنين به، وتتحرق شوقاً للدعوة إلى الله، فما عليك إلا التعاون معها، ووضع يدك في يدها لكسب صديقة جديدة، وهذا يتطلب منك ومنها أن تدرسا الشخصيات التي تحيط بكما، وتختارا واحدة منهن، تتوجهان إليها بالدعوة وتتبعان معها الخطوات نفسها التي اتُبِعَتْ مع الأولى، وهي التي ذكرتها لك من قبل، مع

مراعاة الفروق الفردية بين واحدة وأخرى، وإعطاء كل شخصية ما يناسبها.

وكما قلتُ لك: اختاري من تكون لها صفات خلقية طيبة، وأهم هذه الصفات الحياء، فإن النبي ﷺ يقول: «الحياء لا يأتي إلا بخير» [متفق عليه] ومن كانت ذات حياء تكون ذات أخلاق وصفات حميدة أخري. قال عروة بن الزبير: «إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات». وذلك أن كل إناء بما فيه ينضح، وهذه تملك خلقاً رفيعاً، ومجموعة من الصفات الحسنة، كان أظهرها الحياء، وتحتاج إلى من يزيل الركام عن باقي صفاتها.

فإذا عثرت علي هذه، وبدأت معها الدعوة إلى الله، مستعَينة بالله أولاً، ثم بصَديقتك واختك في الله التي كسبتها إلى صفك من قبل، واتبعت مع الصديقة الجديدة الخطوات اللازمة لكسبها، فاعمليَ بحرص وذكاء، ولا تستعجلي النتيجة، فكل ثمرة تحتاج إلى زمن مختلف لكي تطيب وتنضج، والأمر ليس بالكم، بل بالكيف، «فرب رجل بألف رجل» ورب فتاة واحدة تكسبينها إلى صفك، فتتحول إلى داعية إلى الإسلام خير من ألف فتاة يقف الإسلام لديها عند المظهر الخارجي، ولا ينفذ إلى اللباب الداخلي. وبعض هؤلاء اللواتي

لا يتغلغل الإسلام إلى قلوبهن، ويكتفين منه بالمظهر الخارجي يكنَّ عبثاً على الدعوة إلى الله، ونموذجاً سيئاً يصد الناس عن الإسلام، عندما يرون التناقض العجيب بين المظهر والمخبر.

واستعيني بالصبر، والنفس الطويل، فإن سياسة نفوس الناس ليس بالشيء السهل، فهذه القلوب النافرة، والنفوس الناكبة عن الصراط ألفت هذه الحياة بانحرافها وزيفها وبهرجها، وإرجاعهم إلى الحق يحتاج إلى معاناة ومكابدة وصبر ومصابرة.

واستعيني في خطواتك بالكتمان، فالنفس تأبى من يشهر بها، أو يظهر أستاذيته عليها، وأنت خلال مرحلة الدعوة تحتاجين إلى توجيهها ولفت نظرها، وهذا يكون مقبولاً إذا كان بعيداً عن أعين الأخريات، فإذا عمقت صلة الصداقة والمودة والأخوة، ثم النصح والإرشاد والتوجيه دون لفت الأنظار أو تسبب الإحراج. وما وُجد صديقان حميمان إلا كان بينهما شيء مشترك، وهذا الشيء المشترك يكون خاصاً بهما، أي يدخل ضمن دائرة الأسرار. ولهذا كان الكتمان عاملاً مهيئاً لتوالد هذه الخصوصية الحميمة بين أي شخصيتين، لذلك عليك مراعاة الكتمان، حتى تشعريها بالألفة والمودة والحرص على هذا الشيء المشترك الذي ينمو بينكما، وهو الحب في الله والسعي للعيش حسب شرعه ووفق مشيئته.

وعليك بعد ذلك أن تنكري ذاتك في كل أمر يرجع الخير فيه إليك، فهذا يَسمُك بسمة التواضع، ويُقَرِّب المسافة بينكما أكثر فأكثر، واحرصي علي عدم ذكر ما فعلت من خير مع غيرها، لأنك لو ذكرت ذلك، ستدركُ علي الفورَ أنك طالبة للشهرة والظهور، وكما ذكرت فضلك علي غيرها، ستذكرين مستقبلاً فضلك عليها، وهذا يَنفر القلوب من جانب، ومن جانب آخر يحبط العمل، فأنت تعملين لوجه الله، وليس لمنفعة دنيوية، ومن كان يعمل لله لا يهمه إن ظهر له صيت أو لم يظهر، ذُكر الفضل له أو لم يُذكر، اطلع البشر على عمله أم لم يطلعوا، حَسْبُهُ أنه عمل لله، وأرضى الله. وحسبه أن من عمل من أجله يعرفه، ويعرف عمله، ويعرف نيته وقصده، فإن تمكنت من قسر نفسك حتى تنقاد لك في الإخلاص لله، والبعد عنَ النظر للناس، وفقك الله، وجعل القبول في كل أعمالك وأقوالك، فتنقاد القلوب لك، وتسرع إليك. وفي الوقت نفسه، إذا فشلت في غزو قلب واحدة من هؤلاء لم تفشلي في كسب الأجر والثواب من الله، فإذا استجابتْ، وسارت معكما في الاتجاه، نفسه، فعليكن ـ أنتن الثلاث ـ التحرك المشترك، في القراءة، في الصلاة، في الصيام، في التزاور، وفي كل ما من شأنه أن يقوي الرابطة بينكن، وبذلك تقوي رابطة الأخوة في الله

ويجب الانتباه، إلى أن كل فتاة أو امرأة جديدة تكسبنها إلي صفكن يجب أن تسير الخطوات نفسها، والتي ذكرتها في تكوين الشخصية المسلمة عند الحديث عن المنهج في الكتاب السابق «المسلمة العصرية.. إلي أين؟» حتي لا يحدث خلل أو ثغرات في فهمها للإسلام والتزامها به، فتصبح مسلمة هشة سريعة الكسر، أو سريعة العودة إلى الضلال، أو نموذجاً سيئاً ينفر الناس من الإسلام والالتزام، ويصم الإسلاميين بالعار والشّنار.

التعامل مع مرارة الفشل

وطريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود والرياحين، وليس سهلاً ولا هيناً وإن سلكه الكثيرون، إلا أنه وعر وصعب، فنفوس الناس تحتاج إلى صبر ومصابرة، ولذا على الداعية أن يوطن نفسه على ذلك، فإن قابله إعراض من الناس، أو استهزاء، أو أذى من أي لون فعليه أن يصبر ويحتسب، ولا يتطرق اليأس إلى نفسه، وأنت واحدة من هؤلاء الدعاة، قد تنجحين مع أول فتاة أو امرأة تتوجيهن إليها بالدعوة، فاحمدي الله على ذلك، واسأليه التوفيق والقبول والثبات.

أما إذا فشلت، ولاقيت الإعراض والصدود والنفور، وربما الاستهزاء والأذى، فإن ذلك يترك مرارة في حلقك، فكيف تتعاملين مع هذه المرارة حتى لا تتسرب فتنزلق إلى داخلك، وترثك الفتور واليأس من الإصلاح، ومن ثم الانزواء والتقوقع، وترك المجتمع يمور بالفساد ومعصية الله عز وجل؟

التعامل مع مرارة الفشل يحتاج إلى التبصر والفهم، حتى يتجاوز الداعية هذه العقبة الكؤود، دون أن تؤثر عليه، وسأبين لك السبيل الذي يجعلك تتجاوزين هذه العقبة بأقل قدر ممكن من الإحساس بالإحباط.

أولاً: مراجعة النفس

فعليك أن تراجعي نفسك، وتستذكري علاقتك بهذه المدعوة التي فشلت معها، والخطوات والأساليب التي إتبعتها معها، فقد تكونين قصرت في جانب من الجوانب، وقد تكونين لم تصاحبي الإخلاص في التوجه، والتجرد الخالص لله في دعوتك، فحرمت التوفيق. فراجعي نفسك.

وقد تكونين ارتكبت بعض المنفرات التي ذكرتها لك من قبل، فكانت سبباً في نفورها وإعراضها.

وقد تكونين أخطأت في معرفة مفتاح شخصيتها وأقرب السبل إلي قلبها فاستغلق الأمر عليك..

المهم راجعي نفسك، ولومي نفسك إن وجدت تقصيراً أو خطأ منك، وهذه المراجعة في حد ذاتها نوع من الإيجابية، لأنها خطوة على طريق النجاح، مع هذه المدعوة نفسها مستقبلاً، أو مع غيرها، والعاقل من استفاد من خطئه.

ثم.. ليس معنى أنها لم تقبل دعوتك أنها صدت صدوداً نهائياً، وأنك فشلت معها فشلاً ذريعاً!! لا.. وألف لا.. فهناك ناس يحتاجون إلى فترة من الزمن، وهناك ناس تحيط بهم ظروف تجعلهم - الآن - غير مهيئين للهداية، فإذا زالت هذه الظروف

والملابسات، نبتت البذرة الطيبة التي بذرتها في نفوسهم. فلا تبتئسي ولا تحزني.

ثانيا: تسرية النفس:

وتذكري أن فشلك مع هذه المدعوة - إن سلمنا مؤقتاً أنه فشل - ليس معناه نهاية العالم، فإن لم تقبل هذه دعوتك، فستقبل الدعوة المئات غيرها. وأنت لست أمهر من نوح عليه السلام الذي رفض دعوته زوجتُه وابنُه، ولست أمهر من رسول الله ﷺ الذي تأبى عمه أبو طالب على الدخول في الإسلام، رغم حرص النبي ﷺ على إسلامه، ورغم نصرة أبي طالب لهذا الدين بحماية نبيه ورسوله ﷺ.

ولك في هذين النبيين وغيرهما من الأنبياء والرسل والدعاة أسوة وقدوَة.

وحسبك بعد ذلك أنك فأنت بالأجر، أجر العمل والجهاد والصبر والمصابرة، فأنت مكلفة بالعمل، ولست مسؤولةً عن النتائج، لأن مفتاح القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء، فيهدي من كتب له الهداية، ويترك من قدر عليه الهلاك لعمايته وضلاله، وحسبك أيضاً، أنك من عباد الله الذين مدحهم الله بالصبر والجهاد، ومدحهم رسول الله ﷺ ورضي عنهم،

وقلدهم وسام الغربة، وقلادة الثبات «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء»[1] «لا يزال من أمتي أمة[2] قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[3].

ثالثاً: ترك هؤلاء:

فمن جربت نفسك معها، واتبعت كل السبل، ولم يكن في سلوكك ومنهجك خللاً، ولم تقبلْ علىَ الدعوة، ومضت فترة زمنية ليست بالقصيرة، ظهر لك جَلياً استعصاؤها على الهداية، فلا تضيعي وقتك معها، فانصرفي عنها ـ ولو مؤقتاً ـ فبعض الشخصيات إن لاحقتها هربت أمامك، وإن تركتها رجعت تركض خلفك وتبحث عنك، هكذا خلقهم الله، فما حيلتك؟ وقد تكون صاحبتك من هذا النوع، التي لا ينفع معها الإلحاح والإصرار والمتابعة، وتحتاج إلى فترة إهمال وإعراض حتى تستيقظ من غفلتها، وتؤوب إلى رشدها.

وأنت بعد ذلك، لا تحزني، ولا تبتئسي ـ حتى لو بقيتْ ضالةً، لأن الله خلق للجنة ناساً، وللنار ناساً وقد تكون هذه من أهل النار!! فإن إبليس اللعين عندما أقسم أمام الله أن يضل بني

(1) رواه مسلم.
(2) أي: جماعة.
(3) متفق عليه.

آدم قال: ﴿لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا﴾ [النساء: 118] فقد تكون هذه من هذا النصيب، وقد ذكرتُ لك من قبل، أن لله جنوداً ولإبليس جنوداً، فهذه من جند إبليس ونصيبه إن بقيت على ضلالها وقد ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك! قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف، تسعمئة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»(1).

وبعث النار هو نصيب الشيطان، فلا تحزني عليها ولا تبتئسي لمصيرها، وقد واسى الله نبيه ﷺ عندما كان يجد الإعراض من الناس والصدود والاستهزاء فقال له: ﴿طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين (٥) فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾ [الشعراء: 1-6]، وقال له أيضاً: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ [فاطر: 8].

(1) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. اللؤلؤ والمرجان 133 ص55 ج1.

وأنت عملت معهم جهدك، واعتذرت إلى الله واسقطت واجب الدَعوة معَهم عن نفسك، فلن يضركَ ضلالهم وبقاؤهمَ على غوايتهم، فلا تذهب نفسكِ عليهم حسرات.

رابعاً: عدم القنوط:

وليس معنى فشلك مع واحدة أنك فشلت مع الكل، وليس معنى عدم قبولها الدعوة أن الأخريات كذلكَ، فينبت في قلبك القنوط ويترعرع اليأس، ولكن جربي مع واحدة أخرى، وثانية، وثالثة، ورابعة ولا تيأسي، ولا تستسلمي، فإن الطريق طويل، والجهاد مستمر إلى قيام الساعة، وقيامك بهذا العمل - على ما فيه من جهد وجهاد ومشقة - يتفق مع الأجر الذي ستنالينه، والأجر هو الجنة، وهي سلعة الله الغالية، ومن خطب نفيساً خاطر بنفيس، وأنت تريدين الجنة، والجنة غالية، فلا أقل من أن تبذلي في سبيلها جهدك ووقتك ومهجتك ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

* * *

عقبات في طريقك

وكما قلت لك : إن طريق الدعوة صعب وشاق ، ورغم كثرة السالكين فيه ، إلا أنه لم يذلل ، وبقي صعباً ، هكذا اقتضت حكمة الله ، وقصارى جهد الذين سبقونا بالدعوة أنهم وصفوا لنا هذا الطريق ، وأرشدونا إلى إشاراته ومعالمه وصواه ، وبقيت الوعورة والمشقة ملازمة له ، لم تذللها أقدام السالكين ، ولم تروضها خطوات السابقين .

ولكأني بهذه الوعورة شيء ملازم لهذا لاطريق ، ملازمة الجزء للكل ، وملازمة الفرع للأصل ، وكما أن الصعق ملازم للكهرباء ، والحرق ملازم للنار ، كذلك المشقة ملازمة لطريق الدعوة . ولعل ذلك في مصلحة الداعي والمدعو ، حتى يتفق الأجر مع الجهد المبذول .

وعلى الداعي أن يحسن التعامل مع وعورة هذا الطريق ، ليخفف عن نفسه شيئاً من المعاناة والمكابدة ، ولعل من حسن التعامل أن يتفهم العقبات التي ستقابله ، فلا يفاجأ بها فتبغته ، وتبدد طاقته .

وسأحاول جاهداً أن أصف لك بعض هذه العقبات ، حتى

توطني نفسك على ملاقاتها، فتتهيأي لتجاوزها بحسن التعامل معها، بعد فهمها والإحاطة بها.

العقبات كثيرة، لكنها بالنسبة لك تندرج تحت عناوين ثلاثة، أو بتعبير أدق تنقسم إلى أمور ثلاث:

أ- الناس من حولك:

وأقصد بهؤلاء والدك، والدتك، إخوتك، أقاربك، زوجك - إن كنت متزوجة - صديقاتك، زميلاتك، جيرانك.. الخ. وكل واحد من هؤلاء ينطلق في معارضته لك، والوقوف في وجهك من منطلق مختلف:

فوالدتك تنطلق من خوفها عليك - إن كنت بكراً - أن يصد عنك العرسان ويفوتك قطار الزواج، لأن عرسان هذه الأيام يريدون الحلوة الجميلة المتفرنجة المتبرجة[1].

ووالدك وإخوتك ينطلقون من خوفهم أن يصيبهم الحرج أمام الناس، لأنك تحجبت، فخالفت ما عليه الجيران والمعارف والأصدقاء، وهذا سيرميهم بالرجعية والتخلف..

وأما الجيران والصديقات والزميلات فينطلقون من الاستهجان لتصرفك وسلوكك، الذي يميزك عليهم، ويكشف

(1) اقرأي كتابي «رسائلي إليها» فقد عالجت هذه النقطة بتوسع.

مخالفتهم، ويعري تفلتهم، لا سيما وحجتهم في البقاء على هذا اللباس، وهذا المسلك داحضة، ولا تقف أمام نقاش ولا منطق سليم.

أما إن كان لك زوج، وكان لا يميل إلى اتجاهك، فإن معارضته لك تنطلق من حرصه على الأسرة، ودعوتك إلى الله تأخذ جهدك مما يفوت على الأسرة الشيء الكثير من رعايتك..!!

وبالطبع، كلما بَعُدَت الرابطة الأسرية بينك وبين المعترض كلما هان عليك الأمر، فإذا كان المعترضون أقاربك الأبعدين كان الأمر أيسر من أقاربك الأدنيين، فأولاد العم وأولاد الخال ليسوا كالأب والأم والإخوة، وكذلك الجيران والصديقات والزميلات ليسوا كالزوج مثلاً.

وفي تصوري أن والدك ووالدتك وإخوتك وأقاربك والجيران والزميلات والصديقات، إذا رأوا منك الحزم والعزم والإصرار والحشمة والوقار، ستتكسر أسلحتهم، ويتركونك وشأنك وهذا في حد ذاته انتصار، ولو أنه انتصار سلبي، إلا أنه انتصار مرحلي، لأنك مكلفة بعد ذلك بنقل الدعوة إليهم وتحويلهم من معادين أولاً، وساكتين مراقبين ثانياً، إلى مناصرين ثالثاً، ثم ـ وهو الأهم ـ إلى دعاة مثلك رابعاً، وليس ذلك على الله بعزيز.

أما إن كان لك زوج، واعترض على تحولك إلى داعية، فالأمر هين، فليس مطلوباً منك أن تعتلي المنابر خطيبة أو محاضرة أو تسافري مندوبة أو مدعوة لمؤتمر أو حلقة دراسية.. كل هذا ليس مطلوباً منك، حتى يتعلل بضياع حق الأسرة.

ولكن المطلوب منك الدعوة الفردية، في كل مكان تحلين فيه في المدرسة، في الكلية، في مكان الوظيفة إن وجد، في البيوت التي تتزاورين مع أهلها.. المهم أن تضعي في ذهنك ونصب عينيك: «أنك مندوبة عن رسول الله ﷺ في تبليغ الدعوة» هذا الإحساس، وهذا الهدف، يجعلك تحولين الجلسات الفارغة التي تكون في بيوت الأقارب والمعارف والأصدقاء إلى جلسات هادفة، وتتحول الموضوعات التافهة التي تتحدث فيها النساء غالباً إلى موضوعات مهمة نافعة.

ارجعي بذاكرتك إلى الوراء، وتذكري الجلسات النسائية، وتذكري ما يدور فيها من كلام ونقاش وموضوعات، تجدينها لا تخرج عن: الطبخ.. الغسيل.. صنع الحلوى.. مشاكل العيال.. الحمل.. الميلاد.. الحيض. النفاس.. القيل.. القال.. الغيبة.. النميمة.. الكذب.. المباهاة.. الافتخار.. الملابس.. الشراء.. آخر الموضات.. قصة الشعر.. إلخ هذه التفاهات.

فلو كان إحساسك «مندوبة عن رسول الله ﷺ في تبليغ الدعوة» يلازمك في كل مكان، لاستطعت بلباقة أن تحولي هذه الجلسات إلى جلسات خير وعلم وفقه وتزكية.

والأمر يحتاج منك إلى لباقة وكياسة، تجعلهن يحببن لقاءك ومجلسك، ويشتقن لحديثك ومحضرك، أما إذا كنت فظة فجة نفرن منك، واستثقلن مجلسك، وكرهن محضرك.

وهذه الكياسة واللباقة تحتم عليك طرح الموضوعات التي لها مساس بحياتهن وما يحببن، موضوعات جديدة لم تطرق أسماعهن من قبل: كشف كنوز العلم والسيرة لهن، معرفة الأحكام الخاصة بالنساء والتربية والأولاد، سيرة الصالحات لا سيما الجوانب غير المعروفة منها.. إلخ هذه الموضوعات في إطار من التحبيب والاستئناس، ولا مانع من الثناء والمديح للمحسنات منهن، لا سيما اللواتي تأنسين منهن الإقبال عليك والاستجابة لدعوتك.

أما اللواتي ينفرن من حديثك، ويفضلن الحديث في الأمور التافهة أو المحرمة، فسوسهن باللين، وعدم المجابهة المباشرة معهن، مع الدعاء إلى الله بهدايتهن.

وهناك أساليب كثيرة لحسن التعامل مع هؤلاء ستكتشفينها وحدك ومن خلال تجاربك المتكررة. وفقك الله وسدد خطاك

وأثابك على جهادك وصبرك ومصابرتك. وبهذا السلوك المتزن لن يجد زوجك مأخذاً يأخذه عليك. ولن يعترض سبيلك.

ب- الحياة العصرية:

والحياة العصرية بكل مقاوماتها جاءت لنا من الغرب الصليبي، فلا هي بنت بيئتنا، ولا نتاج ديننا، ولا تتفق مع تقاليدنا، ولذلك اصطدمت مع هذه الركائز كلها، وكانت النتيجة أن طُحن الفرد المسلم في بيئته، فتميعت شخصيته، ورضخ لهذا الغزو، ووقف أمامه مشدوهاً، مستسلماً، ثم انجرف هذا الانجراف المقيت.

وأنت بدعوتك وسط هذا البحر المتلاطم تقاومين تيارات الحياة العصرية من كل جانب، وهي تقف في طريقك، وتحاول تبديد طاقتك، وتوهين عزيمتك، فتشعرين كأنك تحرثين في البحر.

فموضات الملابس، وأدوات الزينة، وقصات الشعر، وكل وسائل تطرية الجلد وتنعيمه، وإبراز مفاتن الجسد، تقذف بها المصانع يومياً بمئات الملايين، وتتولى شركات كبرى الترويج لهذه الأشياء، فتغزو الناس في أعقار بيوتهم في الصحف والمجلات وعلى شاشة التلفزيون، حتى ضعفت مقاومة النساء أمامها، وشُلَّتْ مقدرة الرجال على كبح جماح النساء، فانفلت الزمام، واتسع الخرق على الراقع.

ووسائل الإعلام التي يتحكم فيها ويوجهها تلامذة اليهود، وخريجو مدرسة اللذة، وعبدة الدينار والدرهم، لا هم لها إلا الترويج لمبادئها ـ والسعي لايجاد زبائن ورواد لبضاعتهم ومناهجهم، فلا يصور هؤلاء الحياة الناعمة المرفهة، والعيش الرغيد إلا لمن كان لا يتمسك بأي نوع من القيم، أما ذلك المتمسك بالقيم فحياته فقر وجوع وعري، يقتات الصبر، ويلبس المذلة، ويستمتع بأحلام النعيم الأخروي. فغرسوا في أذهان الناس أن الإسلام قرين الفقر، وأن التفرنج طريق السعادة والنعيم.

والتحدي المستمر في أكبر جهاز إعلامي، وأوسعها انتشاراً وتسلطاً، التلفزيون، الذي يتحدى الإسلام جهاراً نهاراً، وعلى مرأى ومسمع من الحكام وعلماء الدين وأهل المروءة، ولا أحد يحرك ساكناً لإيقاف هذا التحدي. فإذا أردت أن تشاهدي فيلماً، أو مسرحية، أو مسلسلاً، لتسري عن نفسك، وتعيشي حياتك وزمنك، صدمتك المناظر الجنسية، الخليعة، الداعرة التي يندى لها الجبين ويقشعر لها الجلد، وتمحو كل كلمة طيبة زرعتها في نفوس الناس، أو ربيت عليها ابنك أو تلامذتك، وغالباً ما تكون هذه المناظر مدسوسة ومفتعلة ودخيلة على النص أو مجرى العمل الفني وتسلسله، وما ذاك إلا لدغدغة مشاعر المراهقين. ولو حاسبهم أحد قالوا: الجمهور يريد ذلك. وهم

كاذبون . . بل جيوبهم الجشعة تعرف كيف تقتنص أموال الناس . وإذا كان لهم مبرر في شباك تذاكر السينما ، فما هو العذر في التلفزيون الذي لا علاقة له بدخل الشباك؟! والحقيقة الواضحة ، أنهم تلاميذ هذه المدارس ، فلا يخرج منهم إلا ما عُلِّموا وكل إناء بما فيه ينضح .

وإذا تجاوز المسلم عن ذلك ـ مرغماً ـ وأراد أن يسهر مرة في الأسبوع ، جاءت سهرتهم يوم الخميس ، ولا تبدأ إلا قبيل منتصف الليل ، بعد أن يحقن المشاهد بالبرامج الموجهة التي تخدم مصالح معينة ، ثم تأتي المسرحية أو الفيلم فيستمر العرض إلى ما بعد منتصف الليل ، وربما امتد إلى قبيل الفجر ، فينام المشاهد ، ولا يقوى على الاستيقاظ لصلاة الفجر ، فليلة الجمعة التي ينبغي أن تكون لله وفي طاعته قضاها في السهر على المسلسلات والأفلام والمسرحيات الهابطة ، ويوم الجمعة الذي من السُّنَّة أن يتعبد لله فيه ، أضاع صلاة فجره ، ونام حتى العاشرة ، فقام من نومه خبيث النفس ، كئيب المنظر ، كسير القلب ، كسيف البال .

والمسلم أمام هذه العوائق ، وُضِع في خانة الاختيار الصعب ، فإما حياة عصرية متفلتة ، تسرق وقته ، وتنهك صحته ، وتضيع دينه . وإما الانعزال عن هذا كله ، فيعيش في غربة حقيقية وسط الناس وفي الحياة .

وأنت كداعية ستقابلك هذه العقبات، وتبرز لك هذه التحديات، لا سيما مع من تتوجهين إليهن بالدعوة، فكيف ستتعاملين مع هذه العقبات؟ وتنتصرين على هذه التحديات؟ لا سيما وكل من تتوجهين إليهن بالدعوة هن من الغارقات في هذه الحياة، وعلى استعداد لمجادلتك ومناقشتك والدفاع عنها!!

أما في خاصة نفسك، فعليك أن تسددي وتقاربي، فتأخذي من الحياة المعاصرة خيرها، وترفضي شرها، مع المحاولة الجادة المستمرة الدؤوب للتغير نحو الأفضل، فتمسكين العصا من الوسط، فكل ما يتعارض مع دينك معارضة صريحة ارفضيه وانبذيه، وكل ما يتفق مع دينك فأنت أولى الناس به، وأما ما كان فيه شبهة. واختلط فيه الجيد بالرديء، والحسن بالقبيح فحاولي تحويل الرديء القبيح إلى الأفضل، والتعامل معه من منطلق دينك. فمثلاً الملابس العصرية المكشوفة التي تمثل آخر خطوط الموضة، لا بأس أن تلبسيها وتستمتعي بها داخل بيتك وأمام محارمك فقط، أما إذا خرجت فدعيها والتزمي بحجابك. وكذلك كل وسائل الزينة...[1] أما في التلفزيون، فإن كان في مقدورك اقتناء جهاز فيديو، تتحكمين من خلاله فيما تشاهدين أنت وأسرتك يكون ذلك أفضل، وإن كان ليس الحل الأمثل،

---

(1) اقرأي موضوع: زينة المرأة في كتابي «همسات إلى الصحوة الإسلامية».

لأن غالبية المسلسلات والأفلام والمسرحيات دس فيها السم من خلال الدسم. ولكن.. شيء أفضل من لا شيء، لا سيما وقد خبرنا أن مقاطعة التلفزيون نهائياً لم تحقق الهدف المرجو من ذلك، حيث أن الأولاد في المدارس ومع أولاد الجيران تنقل إليهم أخبار ما عرض التلفزيون من أفلام بأسلوب مشوق ومثير، مما يؤثر على الأولاد، ويضعف مقاومتهم، بل يزيد في تشوقهم إلى التلفزيون، فتضيع جهودك سُدى، إن لم نقل تأتي بنتائج عكسية، ومن هنا قلت: ليس الحل الأمثل.

هذا في خاصة نفسك، أما في موقفك مع الأخريات في مجال الدعوة، فما عليك إلا لفت أنظارهن إلى السوء الذي يصيب المجتمع والناس من خلال البعد عن الإسلام ومنهج الإسلام، ولا يكون ذلك إلا بكل وسيلة مشروعة للتأثير عليهن وفتح عيونهن للهوة السحيقة التي تنحدر إليها. ومن هذه الوسائل طرح الأسئلة الصريحة المباشرة المثيرة للتفكير والغيرة والحمية مثل:

– من الذي يربي ابنك أنت أم التلفزيون؟

– ما الموقف إذا عرض التلفزيون مشهداً جنسياً أمام ولدك أو أخيك الصغير؟

– ما نتيجة هذه المشاهد عليهم؟

- هل الجيل الجديد كالأجيال السابقة في التعامل مع الآباء؟
- أيهما أكثر عقوقاً ؟
- ما السبب؟
- ما الحل؟

وهكذا بأسئلة قصيرة مُلحّة، حتى تغرسي في عقولهن وقلوبهن ضرورة العودة للإسلام، فإذا كثُرت النماذج المسلمة الخيرة من الناس، أصبح المجتمع مجتمعاً مسلماً نظيفاً، فيصدر عن قيادته الإعلامية، والفكرية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، كل ما هو نظيف ومفيد لك ولأولادك ولإخوتك وللمجتمع ككل. بعد ذلك سنجد الفيلم النظيف، والمسلسل الهادف، والمسرحية الجادة، والاقتصاد السليم، والكتاب المفيد. . . . إلخ.

وبالطبع فمثالي هذا مثال واحد من أمثلة عديدة تستطيعين كشفها ومعرفتها والعمل من خلالها، واندماجك في الدعوة دوماً يفتح لك مجالات كثيرة للقول والعمل والتأثير. . وفقك الله وسدد خطاك، وجعل الخير على يديك.

جـ - النزعات النفسية الداخلية:

والإنسان بشر، تتناوشه نزعات نفسية من الداخل، تثبط همته، وتضعف عزيمته، وتصرفه عن مهمته، بما تطالبه من الركون

إلى الراحة، والميل إلى الدعة والسكون، والعب من متع الحياة الدنيا أسوة بهذا القطيع الضخم من أبناء الدنيا، الذين رضوا بها عن الحياة الآخرة.

وهذه النزعات تغزو الإنسان من داخله، ولذا فهي أخطر عليه من كل خطر خارجي. وسأشير هنا إشارة موجزة لبعض هذه النزعات المعوقة، التي تعترض طريق الداعية ـ رجلاً أو امرأة ـ مبيناً السبيل لتلافيها أو التعامل معها. من ذلك مثلاً:

الشباب والغرور: فمرحلة الشباب، حيث الانطلاق والتفتح على الحياة وحيث الصحة والعافية، تغري الإنسان بالتفلت والركض خلف متع الحياة، حتى ينسى نفسه، وربما لا يخطر في باله أن الموت ينتظره، وقد يبغته في أي لحظة، دون أن يستعد له، وعلاج ذلك أن يتذكر الإنسان ـ رجلاً أو امرأة ـ من مات من الشباب، وطوتهم الأيام وهم في ريعان الصبا. ويتذكر حديث رسول الله ﷺ **«ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟»**(1) فماذا أعد لهذا السؤال؟. ثم يتذكر الدعاة من الشباب، ممن هم في سنه، ومن هم في عصره، أو عصر سبق عصره صُعُداً في التاريخ حتى آدم عليه السلام، فسيجد

(1) حديث صحيح. وقد تقدم.

نفسه فرداً في هذه القافلة المباركة، ورحم الله امرأة حبيب العجمي إذ تقول له وهي توقظه لقيام الليل: «قم يا رجل فقد سبقنا ركب الصالحين» نعم.. عُبَّادُ الله يتنافسون في عبادته وطاعته والدعوة إليه. فأين أنت من هؤلاء؟ فإذا اعتراك ضعف وفتور، أو تناوشتك نزعات داخلية تدعوك للكسل فتذكري هؤلاء، وتذكري أن الدنيا تغريك بالخروج من هذا الصف حتى تنضمي إلى قطيع الغافلين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: 179].

الصحة والجمال ورغبات الجسد: وهي أيضاً غوائل ومعوقات، ونحن بشر، نقوى فنعمل، ونضعف فنتوقف، وقد ركب الله فينا هذه النزعات والغرائز، امتحاناً وابتلاءً، والسعيد من تخطى هذه العقبات. فأنت بشبابك وصحتك وعافيتك، يضج جسدك برغباته فإن كنت متزوجة فقد أنعم الله عليك، فحافظي على هذه النعمة وتذكري من لم تتزوج، كيف تقاسي وتعاني، وإن لم تكوني قد تزوجتي بعد، فما عليك إلا أن تتسامي بنزعات نفسك هذه حتى يمن الله عليك بزوج يؤنس وحدتك، ويعينك على رحلة الحياة الطويلة.

والتسامي بهذه الغرائز يكون بعدة وسائل منها: عدم التحرش عمداً بالمثيرات من القصص والمناظر والصور، وعدم الإبقاء على خطرات النفس تمور في داخلك كأحلام يقظة، لأن هذه الأحلام

إذا توالت هونت أمر المعصية، وجرأت عليها، ومنها غض البصر، وكف السمع عن كل ما يثير ويؤثر، ومنها الصوم التطوعي (صوم النفل) «فإنه له وجاء» كما ورد في حديث الرسول ﷺ ومنها تذكر الصالحات اللواتي تبتلن إلى الله من أمثال رابعة العدوية، ومنها.. ومنها.. إلخ هذه الأدوية التي تعالج بها شهوة الجسد حتى يتسامى بها المسلم إلى أن يقيض الله له قرين خير ومحبة، ورفيق درب ورحلة.

هذا في خاصة نفسك، أما إذا وُضعَتْ لك هذه العقبات كنقاط جدال من المدعوات، تبريراً للتفلّت، وطلباً لمتع الحياة، فذكريهن بالله، وأن هذا الجمال لا يدوم، وإنما يدوم العمل، إن كان صالحاً أو فاسداً، والحياة كلها سماها الله «متاع الغرور» وذكريهن بمن متن وهن في ريعان الصبا والشباب، ماذا أخذن معهن؟ وهكذا.. حتى ينقدن لك ويُقْبِلْنَ عليك. والله الموفق.

النفس الأمارة بالسوء:

وهناك ظروف ضاغطة، يقع تحتها المسلم أو المسلمة، وهي من باب الامتحان والابتلاء، في الصمود على الحق، أم الرضوخ للباطل. والمسلم الصحيح الذي لا يبرز انحرافه وتخاذله بضغط الظروف، بل الذي يقاوم حتى يسمو على كل مبررات الانحراف.

واعلمي أن لذة الانتصار على المعصية تفوق كل لذائد المعصية ذاتها، إنه إحساس ممتع لذيذ، ذلك الذي يشعر به المسلم عندما يستعلي على الانحراف أو الانجراف إلى رذائل الدنيا.

والله تبارك وتعالى هو العاصم، ولكنه سبحانه يأخذ بالأسباب، ويعين من يبدأ أولى الخطوات الصحيحة، أذكر أن شاباً مسلماً ملتزماً ملتحياً كان في قاعة الامتحان في السنة الجامعية الرابعة والتي يترتب على نتيجتها مستقبل حياته، حيث للتقدير أهميته (ممتاز، جيد، مقبول) وما بينها. وكانت المادة التي يقدمها «اللغة الانجليزية» فصعب عليه ترجمة كلمة في النص، واستغلق عليه فهم النص لنقصان هذه الكلمة، فتوقف حائراً مفكراً، فتقدمت منه إحدى المراقبات تعرض عليه خدماتها ومساعدتها!! (حاميها حراميها) فرفض بإباء وإعزاز، إنه مسلم.. ملتحٍ.. فكيف يخون الأمانة!!

انظري لهذا الموقف الضاغط.. هو في حاجة لمعنى الكلمة.. الكل من حوله يغش.. المراقبة نفسها تعرض خدماتها حيث ستأتي بها له من زميل آخر.. ولكنه ـ رغم ضعفه وحاجته والموقف الضاغط ـ يرفض.. كيف سيكون موقفه أمام الله.؟ حتى لو اعتذر لله ووجد من يبرر له ذلك لا سيما والقاعة كلها تضج بالغش!! كيف سيكون موقفه وهو يمثل

بلحيته الالتزام بالإسلام . . أبى ورفض وتحمل العاقبة . . ولكن الله لم يضيعه، ففتح له مغاليق كل صعب لما صبر واحتسب.

ومن هنا يرى البعض أن اللحية وإن كانت سنة عند البعض وواجبة عند آخرين، تكون في كثير من الأحيان عاصمة للشباب من الانحراف، حيث يستحي أن يرضخ لضغوط نفسه الأمارة بالسوء في مواقف الضعف الضاغطة. وكذلك الجلباب للفتاة أو المرأة، فضلاً عن كونه واجباً لا يجوز تركه، بل يحرم التخلي عنه، فإنه أيضاً يكون عاصماً من الانجراف بتأثير لحظات الضعف النفسي الضاغطة، فلو أن فتاة مسلمة محجبة أجبرت على المرور من مكان فيه متصارعان عريانان، وقد تزاحم عليهما الناس والفتيات مثلاً، ووجدت الجميع يشجعنها علي الرؤية أو المشاركة في الوقوف للنظر، وحتى لو ضعفت وكادت تستجيب ثم تذكرت حجابها، وأنه يتناقض مع هذا الذي ستفعله، ستجدينها تنصرف وترفض ولا ترضخ . . الله عصمها . . نعم ولكن الحجاب أو الجلباب والمظهر الخارجي كان سبباً، وكانا لهما دور في ذلك.

ومن هنا نقول: الإسلام مظهر وجوهر، ولهذا كان اهتمامُ المُشَرِّع بالمظهر الخارجي، اهتمامه باللب من الداخل، لما للمظهر الخارجي من تأثير على السلوك الشخصي للإنسان.

وتذكري أنت، واذكري لكل من تدعينها إلى الله، أن كل لحظة في حياتك تمر، لا تعود إلى يوم القيامة، وأن ملكين عن اليمين وعن الشمال يرصدانك، ويسجلان كل ما تفعلينه في هذه اللحظة فإذا مضت وانقضت، ذهبت بلا رجعة إلى يوم القيامة، ولذا قيل لأحد الصالحين: «متى العيد؟ قال: كل يوم لا أعصى الله فيه فهو عيد». واحرصي دوماً على ملء كل لحظة بخير تجدينه مستقبلاً، ولا تكوني متوانية، فإذا طرقك الموت أو مقدماته تعجلت في عمل الخير، بل كوني كأبي يحيى الناقد ـ رحمه الله ـ قال محمد بن جعفر: لو قيل لأبي الناقد: غداً تموت ما ازداد في عمله ركعة. لماذا؟! لأنه استفرغ طاقته في الطاعة ولم يعد عنده مزيد جهد يبذله. وقال رجل لبشر بن منصور: عظني!! قال: عسكر الموت ينتظرونك!!

هذه بعض العقبات التي رأيتها، أسأل الله أن يعينك عليها ويجنبك كل زلل. وكل فتور، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

منهج ثقافي حركي

الحياة تحتاج إلى تنظيم، والسير فيها بخطوات مدروسة، فإن الارتجال والعفوية لا يأتيان بنتائج محمودة، ذلك أن التخطيط ينتج عن فكر ونظر، ولذلك تأتي الخطوات ـ غالباً ـ موفقة ناجحة، وإن تعثرت سهل تعديل الخطأ. أما الفوضى والعفوية والارتجال فإنها لا تحسب حساباً للمفاجآت، ومن هنا تنتكس خطوات النجاح لأي مفاجأة غير محسوبة أو متوقعة.

ولذلك نجد التوفيق والنجاح حليفي كل أمر مدروس بعناية، وأولى الناس بهذا الداعية إلى الله، ذلك أنه ليس لديه متسع من الوقت للخطأ والصواب والتجريب. فزمنه محسوب عليه، ودعوته في حاجة لكل دقيقة من وقته، لذا كان لزاماً عليه أن يتبع في حياته خطة مدروسة بعناية، يضعها لنفسه، ويسير عليها، ويحقق مضامينها جزءاً جزءاً، وقد وصفتُ لك في كتابي السابق «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» منهجاً تسيرين عليه لتكوين شخصيتك، أو تسترشدين به في وضع منهج يناسبك، وكان جُلُّ تركيزي على تكوين الشخصية الإسلامية التي ليس فيها العيوب السلوكية التي تتناقض مع الالتزام بالإسلام.

ولكن ذلك المنهج كان منهجاً مرحلياً، يناسبك في مرحلة معينة هي مرحلة البداية، أما وقد أصبحت داعية إلى الله، تحملين هَمَّ الدعوة إليه ـ فإنه أصبح لزاماً عليك أن تسيري في حياتك وفق منهج جديد، يناسب المرحلة الجديدة، وكلما تعمقت في الدعوة، أو أوْغَلْت في الحياة، فإنك تحتاجين إلى مناهج وخطط تناسب المراحل المختلفة في حياتك ومسيرتك. وهذا يحتم عليك أن تضعي لنفسك منهجاً كل سنة أو بضع سنوات تسيرين عليه، وتحققينه جزءاً جزءاً، ثم تنتقلين إلى منهج آخر وهكذا بقية عمرك.

والمنهج الذي سأسوقه إليك الآن، منهج يناسب المرحلة الثانية من حياتك، وهي مرحلة الانطلاقة الأولى للدعوة إلى الله.

ويتمثل منهج هذه المرحلة في مجالات ثلاثة رئيسية:

الأول: المجال الروحي:

وأعني به الجانب الحساس الذي يجب أن نعتني به عناية خاصة، وهو تزكية النفس، وربطها دائماً بالله عز وجل. والتوصل إلى هذه النتيجة يكون بملازمة: الصلاة، والصوم، والذكر، والدعاء، والاستغفار، ومحاسبة النفس. وقد ذكرت لك هذه الموضوعات في المنهج السابق في كتابي «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» فعليك بالاستمرار فيها ولا تنقطعي عنها، بل حاولي الاستزاده منها في الجوانب التي تقبل الزيادة كالاستغفار والتسبيح مثلاً.

ولكن الحياة الدنيا تحاول إغراء الإنسان وإبعاده عن الطريق المستقيم بإضعاف همته، ودفعه إلى الركون للراحة، وترك كل خير كان عليه. فكيف تتصرفين إذا شعرت بفتور؟ أو خفت من التفلت وترك ما أنت عليه من خير والتزام؟

يعينك على ذلك أمران: **الأول**: مصاحبة الصالحين والصالحات في الحياة إن وجدوا، وإن لم يوجدوا ففي بطون الكتب. **الثاني**: قراءة ما يرقق القلب ويجعله موصولاً بالله عز وجل. ولذلك انصحك في الجانب الروحي أن تقرأي الكتب التالية (أو ما تيسر منها):

1- **كتاب: مختصر منهاج القاصدين**. تأليف أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي. وهو مختصر من كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي. ويقع في جزء واحد وقد بَعُدَ فيه مؤلفه عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمآخذ التي أخذت على كتاب الإحياء. وهو يناسبك لصغر حجمه بالنسبة للأصل، حيث أن الأحياء يقع في أربعة مجلدات.

2- **كتاب: تهذيب مدارج السالكين**، وهو لعبد المنعم صالح العزي وطبعته وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهو مختصر من كتاب مدارج السالكين لابن القيم ـ رحمه الله ـ والذي يقع في ثلاثة مجلدات كبار. وقد أجاد مختصرُهُ ومهذبه الأستاذ عبد المنعم صالح،

حيث بعد فيه عن القضايا التي لا تصلح لزماننا ولا لشبابنا. والتهذيب يقع في مجلد واحد.

3- **كتاب: صفة الصفوة.** لأبي الفرج ابن الجوزي، ويقع في أربعة أجزاء (ثلاثة مجلدات كبار) وهو أيضاً يُعَدُّ تلخيصاً واختصاراً وتهذيباً لكتاب «حلية الأولياء» حيث قام ابن الجوزي بتنقيته من المطولات، والأحاديث الضعيفة، والأخبار التي يراها باطلة. . إلخ المآخذ التي سجلت على حلية الأولياء، وصفة الصفوة يتحدث عن حياة الصالحين من لدن رسول الله ﷺ حتى عصر كاتبه ومؤلفه.

وهذه الكتب مفيدة في ربطك بالتقوى ومراقبة الله، والسير على نهج الصالحين الذين سبقوك على هذا الطريق.

وهذه الكتب أنصحك بها كمرحلة أولى، فإذا ثبتت قدمك على الطريق، فستتعرفين على مزيد من الكتب في هذا المضمار، فتختارين ما يروقك ويصلح لك. وإن كنتُ أنصح لك بأن تقتصري على هذه الكتب، وتقرأينها عدة مرات قبل الانتقال إلى غيرها لأنك ستكتشفين أنها أصل لكل ما تقرئين بعد ذلك.

الثاني: الجانب الفكري:

إن من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الداعية الابتعاد عن القراءة، والاكتفاء بالسماع. واللحظة التي يترك فيها الداعية

القراءة، هي اللحظة التي يبدأ فيها الخروج من صف الدعاة الناجحين، ذلك أن القراءة نافذة مفتوحة على العالم، والداعية محتاج إلى تنمية معرفته وثقافته، ليستخدمها في دعوته، وما لم يكن الداعية ذا ثقافة واسعة تعينه في دعوته، فإنه يعجز في كثير من الأحيان عن الوصول إلى هدفه.

والدعوة معركة بين الهداية والضلال، وكلما تنوعت الأسلحة كلما كان الفور حليف المُنازل، والداعية يجب أن تتعدد أسلحته التي يدافع بها عن دينه ودعوته. ولذا كانت القراءة المفتاح الذي يفتح به مخازن الأسلحة.. أي مخازن الثقافة والحجة المقنعة للمدعوين.

كما أن الداعية في حاجة لمعرفة ما يحيط به وبإخوانه المسلمين في كل مكان، لا سيما والأعداء ينهشون جسد الأمة المسلمة في أكثر من موضوع وفي أكثر من مكان، في أندونيسيا، في الفلبي، في أرتيريا، في فلسطين، في.. في.. ولذلك الداعية مطالب ـ رجلاً كان أو امرأة ـ بالاطلاع الواسع، ويحقق له ذلك ما يلي:

أ- المجلات والصحف الإسلامية التي تُعني بالدعوة والدعاة ونشر الإسلام وكشف المُنصِّرين (المبشرين) والمستشرقين وكل أعداء هذا الدين.

ب- الكتب الفكرية التي تفتح عقله وتوسع مداركه حول الإسلام وهي كثيرة متنوعة يصعب حصرها، ويشق اختيار بعضها، لأن في الاختيار نوعاً من التزكية، قد يراها البعض كافية، فيقتصر عليها، ويصرف النظر عن غيرها، وفي هذا تضييع لغيرها من الكتب المفيدة، مما يُفَوِّت عليه كثيراً من الخير. ولكن تكرار الزيارة للمكتبات ومعارض الكتب ستمكنك من معرفة الكثير من هذه الكتب، وتسهل عليك الاختيار والانتقاء حسب ميزانيتك المالية، وحاجتك النفسية والمعرفية.

ولكني أنصحك ألا تقتصري على جانب ثقافي أو فكري واحد بل نوعي جوانبك الثقافية، وعددي مصادرك العلمية، حتى تكبر حصيلتك الثقافية والفكرية. فاقرأي في التفسير، وفي الفقه، وفي السيرة، وفي السنة والأحاديث، وفي اللغة، وفي الاقتصاد، وفي البحوث الإسلامية المتنوعة، وفي السلوك، وفي الأخلاق، وفي المرأة، وفي الطفولة، وفي الأعداء.. إلخ هذه المجالات، وستجدين كتباً متنوعة تغطي هذه المجالات كلها، وغيرها من المجالات، وعليك اختيار ما يناسبك ويروق لك.

وإذا شعرت أن نفسك لا تقبل على كتاب معين فاتركيه، ولا تجبري نفسك عليه، وستأتيك أوقات أكثر ملائمة تجدين نفسك قد أقبلت على هذا الكتاب بشغف وحب، وعندها تكون القراءة ممتعة، والفائدة عظيمة.

الثالث: الجانب الحركي:

والجانب الحركي هو لب حياتك، والعمود الفقري لوجودك، ذلك أن الإسلام ليس ثقافة فكرية وحسب، ولا نزعات روحية تعود بالخير على صاحبها فقط، وإنما هو سلوك شخصي، وتطبيق عملي لقيم الإسلام الذي يحتك بالناس، ويتفاعل مع الحياة لعمارتها، بأحسن أسلوب وأقوم طريقة تعود على البشر بالخير في دنياهم، ومن ثم تمكينهم من إحسان العمل من أجل معادهم في آخرتهم.

ولذلك كان قوام الجانب الحركي أربع نقاط أساسية:

أ- تطبيق الإسلام في نفسك وفي حياتك.

ب- التودد إلى الناس.

جـ- التخطيط لكسب أفراد جدد لدعوتك.

د- قراءة كل فكر حركي يقويك ويحقق لك النجاح.

وهذه النقاط تحتاج إلي شرح وتوضيح يثريها وينميها.

أما تطبيق الإسلام في نفسك وحياتك، فلابد منه، حيث أنه لا يعقل أن يكون الداعية إلى شيء لا يتلزم هو به أولاً، ذلك أن القدوة عامل مهم وضروري في التأثير على الناس، ودفعهم لقبول الفكرة أو الأمر المدعو إليه، كما أن القرآن قد ذكر صراحة

هذا العيب ـ وهو عدم الالتزام ـ ونص على أصحاب هذا السلوك. قال تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:2-3] وقال على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88]، كما ذكر رسول الله ﷺ عقوبة من يخالف فعله قوله. ففي حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه (أي أمعاء بطنه) فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» [متفق عليه]. ولذا كان الالتزام أخطر جوانب حياة الداعية.

وأما التودد إلى الناس، فلأنك تحتاجين إلى الوصول إلي قلوبهم أولاً، فإن ملكت هذه القلوب سهل عليك تحويل أصحابها إلى فكرتك ودعوتك. والوصول إلى قلوب الناس يُتَوَسَّلُ إليه بالهدايا، والتزاور، والثناء عليهم بالحق، وعدم غيبتهم، أو منافستهم على حطام الدنيا، مع اصطحاب الابتسامة والوجه البشوش دائماً. وبذل كل عون ممكن لهم، وتقديرهم واحترامهم... إلخ هذه المسلكيات التي تجذب القلوب.

أما التخطيط لكسب أفراد جدد فهو أمر ضروري، حيث أن بعثرة الجهود وتشتيت الطاقات لا ينتج عنهما إلا ضياع الداعي والمدعو. أما التركيز والتخطيط ـ فبعون الله ـ يحقق نتائج باهرة أو على أقل تقدير يحقق مراحل معينة على طريق النجاح والوصول إلى الهدف.

وأقترح عليك أن تضعي برنامجاً لنفسك لكسب أربع فتيات في السنة، واختاري هؤلاء الأربع من أقرب الناس إليك مودة وحباً وتوافقاً. فركزي على إحداهن ولتكن (س) مثلاً بالزيارة والهدايا والمودة مدة ثلاثة أشهر. مع التحبب إلى الأخريات، دون أن تجعليها تَمَلّك أو تنفر منك، وهذه كياستك وفطانتك، وبعد ثلاثة أشهر راجعي نفسك ومقدار ما حققت معها من نجاح، ثم انتقلي إلى الثانية ولتكن (ص) مثلاً وقدَ سبق لك موادتها، فركزي عليها كالأولى، مع عدم ترك الأولى نهائياً بل تخفيف التركيز فقط، وبعد ثلاثة أشهر راجعي نفسك: ماذا حققت مع الثانية؟ وإلى أي المراحل وصلت مع الأولى وهكذا حتى نهاَية العام، مع الفتيات الأربع.

بالطبع ستجدين من استجابت لك بنسبة 70٪ ومن استجابت بنسبة 40٪ ومن لم تستجب نهائياً. فأما من يرجي منها الخير فواصلي طريقك معها حتى تتحول تحولاً كاملاً وتكوني بذلك قد نجحت ـ والحمد لله ـ.

وأما التي لا يرجى منها الخير، ولم تستجب لك فاتركيها ولا تضيعي وقتك معها، ولكن هذا الترك لا يكون بأذى وكراهية وكما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: الهجر الجميل الذي لا أذى معه. فربما تكون بذرة الخير قد دفنت في أعماقها وتحتاج إلى زمن أطول حتى تنبت ـ كما ذكرت لك ذلك من قبل ـ فلا تهدمي جهودك بغضب وحمق يدفعك إليهما الشيطان اللعين. بل انسحبي من حياتها بهدوء ودون أن تشعر بك متعللة بكثرة المشاغل وأنت صادقة إن شاء الله، فشغلك بغيرها يصرفك عنها.

وفي حالة نجاحك واستجابة البعض لك، اتفقي معهن ـ أو معها ـ على القراءة الجماعية، والتعبد الجماعي، فالإنسان بطبعه محب للانتماء، وهذه ـ أو هؤلاء ـ وجدن فيك الانتماء، فشديهن إليك برباط الأخوة في الله، والحب في الله. قال رسول الله ﷺ **«إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»** [رواه مسلم] وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء»**[1] وفي أبي إدريس الخولاني ـ رحمه الله ـ فقال (أي معاذ بن جبل): أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: وجبت**

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

محبتي للمتحابين فيَ والمجالسين فيَ والمتزاورين فيَ والمتباذلين فيَ»[1].

أما قراءة كل فكر حركي يقويك ويحقق لك النجاح، فهذا أمر ضروري، حيث أن الطريق طويل، والرحلة شاقة، والمثبطات كثيرة، فتحتاجين لمعرفة أخبار من سبقك، فتقومين بهم وتستمرين على النهج نفسه، وتتعرفين على المثبطات القديمة والعصرية، فكل عصر فيه أعداء جدد للدعوة، ولهم أسلوبهم في محاربتها، فيحتاج الأمر منك إلى القراءة في الفكر الحركي؛ حيث يقيض الله في كل جيل من يكشف ألاعيب هؤلاء ويفضح مؤامراتهم، وهؤلاء الذين سخرهم الله لكشف هؤلاء الأعداء هم إخوانك الأكبر سناً، والأقدم في طريق الدعوة، والأسبق في جهاد الأعداء فلابد من الاستفادة من تجاربهم فتتقوين على كل الأعداء والمثبطات. وتصلين إلى بغيتك من أقرب طريق، حيث وصف لك هؤلاء الأخوة والدعاة القدامى الطريق وأضاءوا لك السبيل.

.. وبعد

هذه كلمات قليلة، أردت بها النصح لك ـ وهي جهد المقل ـ راجياً الله تبارك وتعالى أن ينفعك بها، وأن ينفع بها كل من قرأها وأسأل الله أن يدخرها لي عنده، ويتقبلها تقبل الأعمال الصالحة، وأن يرفع قدرها، ويضع لها القبول في سمائه وأرضه وعند خلقه أجمعين، اللهم آمين آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حيدر قفه

الموضوع | الفهرس | الصفحة

ما وراء الأحداث ٥

منزلة الفضائل ١٥

الصدق ١٦

الوعد ٢١

البشاشة ٢٣

الكرم ٢٥

التواضع ٢٦

الإقبال بالوجه ٢٨

علاقتك بالقرآن ٣١

علاقتك بالسنة ٣٦

واجبك نحو الإسلام ٤١

خطوات الدعوة إلي الله ٤٥

هل أنت وحدك على هذا الطريق ٦٤

المــوضــــوع — **الفهرس** — الصــفـحــة

توسيع دائرة الدعوة ٧١

التعامل مع مرارة الفشل ٧٦

عقبات في طريقك ٨٢

منهج ثقافي حركي ٩٩

... وبعد ١١٠

الفهرس ١١١